

٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري

فوائد شهر ربيع الأول

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أ. د. خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

الجزء الثالث

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ

ح خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن ، ١٤٤٥هـ

عبد الرحمن ، أ.د. خالد عبد الغفارعبد الله
فوائد شهر ربيع الأول الجزء الثالث من سلسلة كتاب ٣٦٠ فائدة علي مدار العام الهجري./ أ.د. خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن
ط ١.ـ الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٢٥ ص ! ١٧ x ٢٤ سم.ـ (٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري)

رقم الإيداع : ٢٠٢١٩ / ١٤٤٥
ردمك :٣-٥٠٤-٠٥-٦٠٣-٩٧٨



بسم الله الرحمن الرحيم





إهــداء

إلى زوجتي وأبنائي الأوفياء الذين كان لهم الفضل بعد الله عزَّ وجلَّ بتشجيعي ودعمي المتواصل لإعداد هذه السلسلة من الفوائد التي تُحفِّز المسلم والمسلمة للعمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما ينفع ويُرضِي الله عزَّ وجلَّ.





مُقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. فبين يديك أخي القارئ الكريم الجزء الثالث من كتاب " ٣٦٠ فائدة " على مدار العام الهجري، وهو كتاب يضمُّ فوائد ودروسًا تُحفِّز المسلم والمسلمة على العمل الصالح واغتنام أيَّام العمر فيما يَنفع ويُرضِي اللهَ عزَّ وجلَّ . تمَّ تقسيمها على أيَّام السنة الهجرية بحيث يستطيع القارئ أن يبدأ بالقراءة من تاريخ اليوم الذي عزم أن يقرأ الكتاب فيه، ويقطف من ثمرات وفوائد ذلك اليوم. وفي كل يوم يجد القارئ جملة من المقتطفات التي تدور حول موضوع واحد قد يكون له ارتباط بذلك اليوم أو الأيَّام أو الشهر تحديدًا وقد لا يكون. ولكن الموضوعات تُشكِّل في مجملها خلاصة الفوائد والخواطر والدروس التي تُعين المسلم على التجارة مع الله والعمل الصالح الذي يكون بإذن الله زادًا له في الدنيا ونجاة له في الآخرة برحمة الله ومِنَّته وفضْله. وهذا الجزء مُخصَّصٌ لفوائد شهر ربيع الأول، أسأل الله أن يكون فيه النفع والفائدة وحُجَّة لكاتبه وقارئه وكلِّ مَن أعان على نشْره وتوزيعه.

كتبه الفقير إلى عفو ربِّه
أ.د.خالد بن عبد الغفَّار آل عبد الرحمن
drkhalid63@gmail.com
الرياض
شهر ربيع الأول ١٤٤٥هـ



فهرس فوائد شهر ربيع الأول



١ ربيع الأول

عليكم بسُنَّتي

وقف رسول الله ﷺ ذات يوم بين أصحابه خطيبًا فقال:" يا أيُّها الناس؛ تركتُ فيكم ما إنْ تمسَّكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا؛ كتاب الله وسُنَّتي" رواه الحاكم بسند صحيح(١).

لقد حثَّ الإسلام في مواطن كثيرة جدًّا على التمسُّك بالسُّنَّة، وحثَّ على الجماعة والوحدة الإسلامية، ونهى عن التفرُّق والتعادي والتقاطع، وأمر بالتمسُّك بالصراط المستقيم، والأدلَّة على ذلك واضحة ظاهرة؛ منها قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾(٢) ، فأمَرَ بالاتّباع وبالتمسُّك بالصراط المستقيم، كما أمَرَنا سبحانه وتعالى بأن ندعو به في صلاتنا بقولنا: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾(٣)، وهو الطريق الذي سارت عليه الأُمَّة الإسلامية، وتبعه أهل السُّنَّة.

والسُّنَّة هي الطريقة القويمة التي تجري على السنن، وهي السبيل الواضح.

وسُنَّتُه ﷺ هي: طريقته التي يسير عليها؛ عقيدة، وخُلُقًا، وعملًا، وعبادةً وغير ذلك، فعلينا أن نلزم سُنَّته، ونجعل التحاكُم إليها سبيل الإيمان، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾(٤) ، فسُنَّة رسول الله ﷺ هي سبيل النجاة لمن أراد الله نجاته من الخلافات والبدع، وهي- ولله الحمد والمنَّة- موجودة في كتب أهل العلم الذين ألَّفوا في السُّنَّة، مثل:" الصحيحين" البخاري ومسلم، والسُّنن والمسانيد وغيرها، مما ألَّفه أهل العلم وحفظوا به سُنَّة رسول الله ﷺ.

يقول العلَّامة السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾(٥):" كما أنَّ في اتِّباع أمْر الله وشرعه من المصالح ما لا يدخل تحت الحصر، ولذلك أمَرَ الله

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ١٦١). المستدرك على الصحيحين للحاكم، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥ هـ)، المحقِّق: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، دار النشر: دار الحرمين، البلد: القاهرة– مصر، سنة الطبع: ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م. والحديث حسَّن إسناده الألباني كما في منزلة السُّنَّة في الإسلام (ص ١٨). منزلة السُّنَّة في الإسلام، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).

(٢) الأنعام: ١٥٣.

(٣) الفاتحة: ٦.

(٤) النساء: ٦٥.

(٥) الحشر: ٧.

بالقاعدة الكليَّة والأصل العامّ، فقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ وهذا شاملٌ لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه، وأنَّ ما جاء به الرسول ﷺ يتعيَّن على العباد الأخْذ به واتِّباعه، ولا تحلُّ مُخالَفَتُه، وأنَّ نصَّ الرسول ﷺ على حُكم الشيء كنصِّ الله تعالى، لا رخصة لأحد، ولا عذر له في ترْكه، ولا يجوز تقديم قول أحدٍ على قوله ﷺ"[١].

وقال الإمام ابن كثير:" وقوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[٢]؛ أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنَّه إنَّما يأمر بخيرٍ، وإنَّما ينهى عن شرٍّ[٣]. وقد ثبت في الصحيحين أيضًا عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ قال:" إذا أمرتُكم بأمْرٍ فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتُكم عنه فاجتنبوه"[٤].

وعن مجاهد بن جبر التابعي الجليل أنَّه قال في قوله سبحانه: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٥].

قال:" الردُّ إلى الله الردُّ إلى كتابه، والردُّ إلى الرسول الردُّ إلى السُّنَّة"[٦].

---

(١) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٨٥١). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦ هـ)، المحقِّق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٦٧). تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، المحقِّق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٤) رواه البخاري (٩/ ٩٤) برقم (٧٢٨٨) كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة. باب الاقتداء بسُنن رسول الله ﷺ، ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٧٥) برقم (١٣٣٧) كتاب الحج. باب فرْض الحج مرَّة في العمر. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسُننه وأيَّامه= صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقِّق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصوَّرة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقِّق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت.

(٥) النساء: ٥٩.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٥٠٥). جامع البيان في تأويل القرآن؛ المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقِّق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

وعن الزهري رحمه الله أنَّه قال:" كان مَن مضى مِن علمائنا يقولون: الاعتصام بالسُّنَّة نجاة"[١]، وقال ابن قدامة رحمه الله:" والأصل الثاني من الأدلَّة؛ سُنَّةُ رسول الله ﷺ، وقولُ رسول الله ﷺ حُجَّة؛ لدلالة المعجِز على صدقه، وأمْرِ اللهِ بطاعته وتحذيرِه من مُخالَفة أمْره"[٢].

وقد نهى الله تعالى عن التفرُّق في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾[٣]، ويقول أيضًا: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[٤]، وينهى عن الاختلاف كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾[٥]، (شيعًا) يعني: أحزابًا.

فإذا عرفنا أنَّ الإسلام يأمر بالاجتماع، فهذا الاجتماع لا بُدَّ أن يكون على السُّنَّة وعلى الطريق المستقيم، أمَّا إذا كان المجتمعون قد اجتمعوا على ضلالة أو على بدعة؛ فإنَّ اجتماعهم لا قيمة له؛ وذلك لأنَّهم تركوا الحقَّ جانبًا، وأعرضوا عن صراط الله الذي أمَرَ بالتمسُّك به، وهو الذي سارت عليه الأُمَّة الإسلامية، وهو صراط المنعَم عليهم، الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[٦].

ومن عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة الاعتراف بخلافة الخلفاء الراشدين، وأنَّ ترتيبهم في الفضْل كترتيبهم في الخلافة، فأوَّل الخلفاء هو أبو بكر الصديق، ثم الفاروق عمر، ثم ذو النُّورين عثمان، ثم علي بن أبي طالب- رضي الله عنهم جميعًا-؛ هؤلاء هم الخلفاء الراشدون الذين أمَرَ النبي ﷺ باتِّباعهم، وسمَّاهم الخلفاء في قوله ﷺ:"عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي،

---

(١) رواه الدارمي في سننه (١/ ٢٣٠) برقم (٩٧) باب اتِّباع السُّنَّة. وذكر مُحقِّق الكتاب أنَّ إسناده صحيح. مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ- ٢٠٠٠م.

(٢) روضة الناظر وجنة المناظر (١/ ٢٧٣)؛ روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠ هـ)، الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

(٣) آل عمران: ١٠٥.

(٤) آل عمران: ١٠٣.

(٥) الأنعام: ١٥٩.

(٦) النساء: ٦٩.

عضُّوا عليها بالنواجذ" رواه أبو داود والترمذي[١]، شهادة نبويَّة لهؤلاء بأنَّهم خلفاء، وبأنَّهم راشدون، وبأنَّهم مهديون، أي: على الهدى والصراط المستقيم، وأمْرُه ﷺ بالثبات على سُنَّة الخلفاء الراشدين لأمْرين؛ أحدهما: التقليد لمن عجز عن النظر، والثاني: الترجيح لما ذهبوا إليه عند اختلاف الصحابة.

قال الإمام ابن القيِّم رحمه الله في كتابه أعلام الموقعين:" قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[٢]، فأمَرَ تعالى بطاعته وطاعة رسوله، وأعاد الفعل إعلامًا بأنَّ طاعة الرسول ﷺ تجِبُ استقلالًا من غير عرض ما أَمَرَ به على الكتاب، بل إذا أَمَرَ وجبت طاعتُه مطلقًا؛ سواء كان ما أَمَرَ به في الكتاب أم لم يكن فيه، فإنَّه أوتي الكتاب ومثله معه، ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالًا؛ بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول ﷺ؛ إيذانًا بأنَّهم إنَّما يُطاعون تبعًا لطاعة الرسول ﷺ، فمَن أَمَرَ منهم بطاعة الرسول ﷺ وجبت طاعتُه، ومَن أمر بخلاف ما جاء به الرسول ﷺ فلا سمع له ولا طاعة"[٣].

---

(١) رواه أبو داود في سُننه (٤/ ٢٠١) برقم (٤٦٠٧) كتاب السُّنَّة. باب في لزوم السُّنَّة؛ سُنن الترمذي (٥/ ٤٥) برقم (٢٦٧٦) أبواب العلم. باب ما جاء في الأخْذ بالسُّنَّة واجتناب البدع؛ وابن ماجه في سُننه (١/ ١٥) برقم (٤٢) افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم. باب اتِّباع سُنَّة الخلفاء الراشدين. والحديث صحَّحه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٨/ ١٠٧). سُنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي. سُنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥ هـ)، المحقِّق: محمد محيي الدين عبد الحميد. الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. سُنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي– بيروت/ الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين (٢/ ٨٩). إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيِّم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، قدَّم له وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.



الخلاصة: أنَّنا مأمورون باتِّباع سُنَّة النبي ﷺ قولًا وعملًا وعِلْمًا ، فالعِلم آيةٌ مُحكَمة أو سُنَّة قائمةٌ، والفقيهُ كلُّ الفقيهِ ذلك الذي فتَحَ الله عليه، فانتزعَ الأحكامَ للمسائلِ المعروضة عليه مِن نصوصِ الكتابِ والسُّنَّة وآثارِ الصحابة وُرَّاثِ عِلمِ النُّبوَّة، فذلك هو العِلم الحقيقي؛ وكما قيل:

العِلْـمُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُـولُهُ   قَالَ الصَّحابَةُ هُمْ أُولُو العِرْفَانِ
مَا العِلمُ نَصْبُكَ للخِلَافِ سَفَاهَةً   بَينَ الرَّسُـولِ وَبَينَ رَأيِ فُلَانِ(١)

(١) نونية ابن القيِّم= الكافية الشافية (ص ٢٢٦).متن القصيدة النونية، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيِّم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ.

٢ ربيع الأول
صلُّوا عليه وسلِّموا تسليمًا

أرسل الله سبحانه وتعالى نبيَّنا محمَّدًا ﷺ رحمةً للعالمين، ونجاةً لمن آمَن به من الموحِّدين، وإمامًا للمتَّقين، وحُجَّة على الخلائق أجمعين، وشفيعًا في المحشَر، أرسله الله على فترة من الرسل، فهدى به لأقوم الطرق وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته وتوقيره ورعايته والقيام بحقوقه، والصلاة عليه والتسليم، قال بعض العلماء: ومن خواصِّه ﷺ أنَّه ليس في القرآن ولا غيره صلاةٌ من الله على غيره، فهي خصيصة اختصَّه الله بها دون سائر الأنبياء. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[١].

وفي معنى الصلاة في الآية الكريمة، قال الإمام ابن كثير- رحمه الله-:" قال البخاري- رحمه الله تعالى-: قال أبو العالية- رحمه الله تعالى-: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة عليهم الصلاة والسلام، وصلاة الملائكة: الدعاء، وقال ابن عبَّاس- رضي الله تعالى عنهما-: يُصلُّون: يُبرِّكون، هكذا علَّقه البخاري- رحمه الله تعالى-"[٢].

وقال الإمام السعدي- رحمه الله تعالى- في تفسير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[٣] اقتداءً بالله سبحانه وملائكته عليهم الصلاة والسلام، وجزاءً له ﷺ على بعض حقوقه عليكم، وتكميلًا لإيمانكم، وتعظيمًا له ﷺ، ومحبَّةً وإكرامًا، وزيادةً في حسناتكم، وتكفيرًا من سيئاتكم"[٤].

وقال علماء اللجنة الدائمة للإفتاء:" المراد بالصلاة هنا الدعاء، ومعنى الحديث الحثُّ على الإكثار من الصلاة والسلام على النبي ﷺ؛ لِما في ذلك من الأجر العظيم"[٥].

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضْل الصلاة على النبي ﷺ:

---

(١) الأحزاب: ٥٦.

(٢) يُنظَر: صحيح البخاري (٦/ ١٢٠).

(٣) الأحزاب: ٥٦

(٤) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٦٧١).

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة- المجموعة الأولى (٢٤/ ١٥٧). فتاوى اللجنة الدائمة- المجموعة الأولى، المؤلف: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش.



منها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ قال:" مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ"(١).

وروى أبو داود في سُننه من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ قال:" لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ"(٢).

وروى الترمذي في سُننه من حديث أُبي بن كعب- رضي الله عنه- قال:" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: مَا شِئْتَ، قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ؛ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: النِّصْفَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ؛ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ:" مَا شِئْتَ؛ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ:" إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ"(٣).

قال ابن القيِّم- رحمه الله-: سُئِل شيخُنا- رحمه الله- عن تفسير هذا الحديث فقال: كان لأُبي بن كعب دعاء يدعو به لنفسه، فسأل النبيَّ ﷺ هل يجعل له منه رُبعَه صلاة عليه ﷺ، فقال: إن زدتَ فهو خيرٌ لك، فقال له: النصف، فقال: إن زدتَ فهو خيرٌ لك، إلى أن قال: أجعل لك صلاتي كلَّها، أي أجعل دعائي كلَّه صلاة عليك، قال: إذًا تُكفى همَّك ويُغفر لك ذنبُك، لأنَّ من صلَّى على النبي

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٩/ ٥٧) برقم (١١٩٩٨). والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٣٠) برقم (٩٨٠٨) كتاب عمل اليوم والليلة. ثواب الصلاة على النبي ﷺ. والحديث صحَّحه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٢٩١). مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقِّق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١ م. السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حقَّقه وخرَّج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدَّم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م. مشكاة المصابيح، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقِّق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥ م.

(٢) رواه أبو داود في سُننه (٢/ ٢١٨) برقم (٢٠٤٢) كتاب المناسك. باب زيارة القبور. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سُنن أبي داود (٥/ ٤٢). صحيح وضعيف سُنن أبي داود، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية- المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسُّنَّة بالإسكندرية.

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٦٣٧) برقم (٢٤٥٧) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ. باب بدون ترجمة. والحديث حسَّنه الألباني كما في صحيح وضعيف سُنن الترمذي (٥/ ٤٥٧). صحيح وضعيف سُنن الترمذي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية- المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسُّنَّة بالإسكندرية



ﷺ صلاة؛ صلَّى اللهُ عليه بها عشرًا، ومن صلَّى اللهُ عليه كفاه همَّه وغفر له ذنبَه، هذا معنى كلامه- رحمه الله-[١].

قال الإمام ابن الجوزي:

إنَّ الصَّلَاةَ عَلى النَّبِيِّ وَسِيلَةٌ   فِيهَا النَّجَاةُ لِكُـــلِّ عَبْدٍ مُسْلِمِ
صَلُّـــوا عَلَى القَـمَرِ المـنِيرِ فَـإِنَّهُ   نُـورٌ تَبَـدَّا فِي الغَـمَـامِ المظْلِمِ[٢]

ومن فوائد الصلاة على النبي ﷺ:-

أوَّلًا: امتثال أمْر الله سبحانه وتعالى.

ثانيًا: موافقته سبحانه وتعالى في الصلاة عليه، وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتُنا عليه دعاءٌ وسؤالٌ، وصلاة الله تعالى عليه ثناءٌ وتشريفٌ.

ثالثًا: أنَّها ترفع الدرجات وتُكفِّر السَّيِّئات كما وردت بذلك الأحاديث السابقة.

رابعًا: أنَّه يُرجى إجابة دعاء السائل إذا ختم بها، فبها يصعد الدعاء إلى ربِّ العالمين. فقد روى الترمذي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ- رضي الله عنه- أنَّه قَالَ:" إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؛ لا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ"[٣].

خامسًا: أنَّها سببٌ لكفاية العبد ما أهمَّه، ففي حديث أُبي بن كعب السابق لما قال للنبي ﷺ: أجعل لك صلاتي كلَّها؟ قال له: إذًا تُكفَى همَّك، ويُغفر ذنبُك[٤].

سادسًا: أنَّ الصلاة عليه ﷺ من حقوقه على أُمَّته مقابل الخير العظيم الذي حصل لهم بسببه.

وأمَّا صيغ الصلاة عليه ﷺ فهي كثيرة، نكتفي باثنتين منها:

---

(١) جلاء الأفهام (ص ٧٩). جلاء الأفهام في فضْل الصلاة على محمَّدٍ خير الأنام، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيِّم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقِّق: شعيب الأرناؤوط- عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة- الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

(٢) بستان الواعظين ورياض السامعين (ص ٣٠٤). بستان الواعظين ورياض السامعين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقِّق: أيمن البحيري، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت- لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٢/ ٣٥٦) برقم (٤٨٦) أبواب الوتر. باب ما جاء في فضْل الصلاة على النبي ﷺ. والحديث حسَّنه الألباني كما في صحيح وضعيف سُنن الترمذي (١/ ٤٨٦).

(٤) تقدَّم قريبًا.



أولًا: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحَيْهما من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ- رضي الله عنه- فَقَالَ: أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ: بَلَى فَأَهْدِهَا لِي، فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ الله ﷺ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله؛ كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ؟ قَالَ:" قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ"(١).

ثانيًا: ما رواه البخاري من حديث أبي حميد الساعدي- رضي الله عنه- أنَّهم قالوا: يَا رَسُولَ الله؛ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:" قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ؛ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ؛ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ"(٢).

وقد سُئل الشيخ العلَّامة ابن عثيمين عن كيفيَّتها؛ فقال: كيفيَّة الصلاة أن يقول:" اللَّهُمَّ صلِّ على محمَّدٍ"، والكامل منها أن يقول:" اللَّهُمَّ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ؛ كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنَّك حميدٌ مجيد، وبارك على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ؛ كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنَّك حميدٌ مجيد" لا سيَّما إذا كان يُصلِّي، فهذه هي الكيفيَّة المطلوبة(٣).

الخلاصة: أنَّ الصلاة من الله عزَّ وجلَّ على النبي ﷺ قيل: إنَّها الثناء على المصلَّى عليه في الملأ الأعلى، وقيل: إنَّها منزلة عالية فوق الرحمة، ولكنَّنا لا ندري ما هي، وقيل: إنَّ الصلاة من الله هي الرحمة، لكنَّ هذا القول ضعيفٌ لقوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾(٤)، فعطف الرحمة على الصلوات، فدل هذا على أنها ليست هي الرحمة، أما الإنسان إذا دعا الله أن يُصلِّي على نبيِّه ﷺ فمعناه أن يجعل عليه صلاته.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٤٧) برقم (٣٣٧٠) كتاب أحاديث الأنبياء. باب بدون ترجمة. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٠٥) برقم (٤٠٦) كتاب الصلاة. باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهُّد، مع اختلافٍ يسيرٍ عمَّا في البخاري.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٤٦) برقم (٣٣٦٩) كتاب أحاديث الأنبياء. باب بدون ترجمة. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٠٦) برقم (٤٠٧) كتاب الصلاة. باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهُّد، مع اختلافٍ يسيرٍ عمَّا في البخاري.

(٣) فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٥/ ٢، بترقيم الشاملة آليًّا). فتاوى نور على الدرب، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ).

(٤) البقرة: ١٥٧.

٣ ربيع الأول

وإنَّك لعلى خُلُقٍ عَظِيمٍ

وصَفَ الله تعالى في القرآن الكريم خُلُق نبيِّه ﷺ بأنَّه عظيم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١)، فقد اتَّصفَ ﷺ بجميع مكارم الأخلاق، وأخَذَ من كلِّ نبيٍّ قبله أحسنَ ما اتَّصفَ به، فأخَذَ توبة آدم، وشُكْر نوح، ووفاء إبراهيم، ووعْد إسماعيل، وحلْم إسحاق، وحُسْنَ ظنِّ يعقوب، واحتمال يوسف، وصبْر أيوب، إلى غيرها من الصِّفات.

والخُلُق لغة: اسمٌ لسجيَّة الإنسان وطبيعته التي خُلِقَ عليها، وهو مأخوذ من مادة (خ ل ق) التي تدلُّ على تقدير الشيء. والخليقة: الطبيعة، والجمع الخلائق. قال لبيد:

فاقنعْ بما قَسَمَ المليكُ فإنَّما قَسَمَ الخلائقَ بيننا علَّامُهَا(٢)

وحُسْن الخُلُق اصطلاحًا: كما قال القزويني رحمه الله: ومعنى حُسْن الخُلُق: سلامة النفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال، وقد يكون ذلك في ذات الله تعالى، وقد يكون فيما بين النَّاس(٣).

قال الشيخ السعدي في تفسيره: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٤)، أي: عاليًا به، مُستعليًا بخُلُقك الذي منَّ الله عليك به، وحاصلُ خُلُقِه العظيم ما فسَّرتْه به أُمُّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- لمن سألها عنه، فقالت:" كان خُلُقُه القرآن" رواه مسلم(٥)، وذلك نحو قوله تعالى له: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(٦)، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾(٧) الآية،﴿لَقَدْ

---

(١) القلم: ٤.

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص ١١٦). ديوان لبيد بن ربيعة العامري، المؤلف: لَبِيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر معدودٌ من الصحابة (المتوفى: ٤١هـ)، اعتنى به: حمدو طمَّاس، الناشر: دار المعرفة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤ م.

(٣) شعب الإيمان (١٠/ ٣٥٠). شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حقَّقه وراجع نصوصه وخرَّج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي- الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٣ م.

(٤) القلم: ٤.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥١٣) برقم (٧٤٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب جامع صلاة الليل ومَن نام عنه أو مرض، ولفظه أنَّه لما سأل حكيمُ بن أفلح أُمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها:" يا أُمَّ المؤمنين؛ أنبئيني عن خُلُقِ رسول الله ﷺ، قالت: ألستَ تقرأ القرآن؟ قلتُ: بلى، قالت: فإنَّ خُلُق نبي الله ﷺ كان القرآن".

(٦) الأعراف: ١٩٩.

(٧) آل عمران: ١٥٩.

جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[١]، وما أشبه ذلك من الآيات الدالَّات على اتصافه ﷺ بمكارم الأخلاق، والآيات الحاثَّات على الخُلُق العظيم فكان له منها أكملها وأجَلُّها، وهو في كلِّ خصلةٍ منها في الذروة العُليا، فكان ﷺ سهلًا ليِّنًا، قريبًا من النَّاس، مُجيبًا لدعوة مَن دعاه، قاضيًا لحاجة مَن استقضاه، جابرًا لقلب مَن سأله، لا يَحرِمه، ولا يَردُّه خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه؛ إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمرٍ لم يستبدَّ به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من مُحسنهم، ويعفو عن مُسيئهم، ولم يكن يُعاشر جليسًا له إلَّا أتمَّ عِشْرَتَه وأحسنها، فكان ﷺ لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بِشْرَه، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يُؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يُحسن إلى عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال ﷺ[٢].

وقال الإمام القرطبي: إن المراد بالخلق العظيم أدب القرآن، وقيل: هو رفقه بأُمَّته وإكرامه إياهم، وقيل المراد: إنَّك على طبع كريم، وقيل أيضًا: حقيقة الخُلُق في اللغة هو: ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب لأنَّه يصير كالخلقة فيه، وأمَّا ما طُبِعَ عليه الإنسان من الأدب فهو الخيم أي السجية والطبع، وعلى ذلك يكون الخُلُق: الطبع المتكلَّف، والخيم: الطبع الغريزي، وقد ذكر الأعشى ذلك في شعره فقال:

وإذا ذو الفضول ضنَّ على الـ ... مولى وعادت لخيمها الأخلاق

أي رجعت الأخلاق إلى طبيعتها[٣].

وقد رجَّح القرطبي تفسير عائشة- رضي الله عنها- للخلق العظيم؛ فقد سُئلت ذات مرَّةٍ عن خلق الرسول ﷺ فقالت:" كان خُلُقُهُ القُرآنَ" رواه مسلم[٤]، ولعلَّ أبلغ وصف وأدق تصوير لخُلُق الرسول الكريم ﷺ ما وصفه به القرآن بقوله الجامع الموجز: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[٥]، وهي شهادة من الله، وما عند الله لا يبلغ إلى إدراك مداه أحدٌ من العالمين.

أمَّا عن أخلاق النبي ﷺ مع أصحابه:

---

(١) التوبة: ١٢٨

(٢) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٨٧٨).

(٣) يُنظَر: تفسير القرطبي (١٨/ ٢٢٧). الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية- القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ- ١٩٦٤ م.

(٤) تقدَّم تخريجه قريبًا.

(٥) القلم: ٤.

فعن أنس- رضي الله عنه- قال:" كان النبي ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده، ولا يصرف وجهه من وجهه حتى يكون الرجل هو يصرفه، ولم يُرَ مُقدِّمًا ركبتيه بين يدي جليس له" رواه الترمذي(١).

وكان من هديه ﷺ أن يمزح مع أصحابه؛ فعن الحسن البصري- رضي الله عنه- قال:" أتتْ عجوزٌ للنبي ﷺ فقالت: يا رسول الله؛ ادع الله أن يدخلني الجنة. فقال: يا أُمَّ فلان؛ إنَّ الجنَّة لا يدخلها عجوز. فولَّت وهي تبكي، فقال: أخبروها أنَّها لا تدخلها وهي عجوز؛ إنَّ الله يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابٗا﴾(٢)" رواه الترمذي(٣).

وانظر إلى أخلاقه ﷺ مع الأطفال:

فقد روى البخاري عن أنس- رضي الله عنه- أنَّه قال:" كان ﷺ يمرُّ بالصِّبيان فيُسلِّم عليهم"(٤).

وكان ﷺ" يحمل أمامة بنت زينب- ابنة رسول الله ﷺ- وهو يُصلِّي بالناس؛ إذا قام حملها، وإذا سجد وضعها" متفق عليه(٥).

وعن أخلاق النبي ﷺ مع الخدم:

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٦٥٤) برقم (٢٤٩٠) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع. باب بدون ترجمة. والحديث قال عنه الألباني:" ضعيف إلَّا جملة المصافحة فهي ثابتة". ضعيف سُنن الترمذي (ص ٢٨٤). ضعيف سُنن الترمذي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على طباعته والتعليق عليه: زهير الشاويش، بتكليف: من مكتب التربية العربي لدول الخليج– الرياض، توزيع: المكتب الاسلامي– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

(٢) الواقعة: ٣٥-٣٧.

(٣) رواه الترمذي في الشمائل المحمديَّة (ص ١٤٤). الشمائل المحمديَّة، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت. والحديث صحَّحه الألباني بمجموع طرقه وشواهده كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ١٢٢١). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عام النشر: جـ ١- ٤: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦ م، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٥٥) برقم (٦٢٤٧) كتاب الاستئذان. باب التسليم على الصبيان. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٨) برقم (٢١٦٨) كتاب السلام. باب استحباب السلام على الصبيان.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٠٩) برقم (٥١٦) كتاب الصلاة. باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٨٥) برقم (٥٤٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب جواز حمْل الصبيان في الصلاة.

يقول أنس بن مالك- رضي الله عنه-:" خدمتُ النبي ﷺ عشر سنين؛ والله ما قال: أفٍّ قط، ولا قال لشيء: لِمَ فعلتَ كذا، وهلَّا فعلتَ كذا" متفق عليه[١].

حتى أخلاقه ﷺ مع أعدائه كانت ولا زالت مضرب المثل:

فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّه قال: عندما قيل له ﷺ: ادعُ على المشركين، قال:" إِنِّي لم أُبْعَثْ لعَّانًا؛ وإنَّما بُعِثْتُ رحمةً" رواه مسلم[٢].

الخلاصة: هذا غيضٌ من فيضٍ من أخلاق البشير النذير السراج المنير، فما أحوجنا أن نملأ قلوبنا بمحبَّته، وما أحوجنا أن نُربِّي على هذه السُّنَّة والأخلاق الكريمة صغارنا وكبارنا، وأن نضع أخلاق النبي ﷺ نُصْب أعيننا؛ لتظهر آثارها علينا ليلًا ونهارًا، فبحسب متابعته تكون العزَّة والكفاية، والنصرة والولاية والتأييد، والهداية والفلاح والنجاة، وطيب العيش في الدنيا والآخرة.

مِـنْ أيـنَ أبـدأُ في مـديحِ مُحمـدٍ ... لَا الشِّعرُ يُنصفُهُ وَلَا الأَقْلَامُ
هُو صَاحِبُ الخُلُقِ الرَّفِيعِ عَلَى المدَى ... هُو قَائِدٌ للمُسـلمينَ هُمَـامُ
هُـو سَيِّدُ الأَخْلَاقِ دُونَ مُنَافِسٍ ... هُو مُلهِـمٌ هُو قَائِدٌ مِقْـدَامُ
ماذَا نَقُـولُ عَنِ الحَبِيبِ المصْطَفَى ... فمحمدٌ للعالمينَ إمـامُ
ماذَا نَقُولُ عَنِ الحَبِيبِ المجْتَبَى ... فِي وَصْفِهِ تَتَكَسَّرُ الأَقْـلَامُ [٣]

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٤) برقم (٦٠٣٨) كتاب الأدب. باب حُسْن الخُلُق والسخاء وما يُكرَه من البخل. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٤) برقم (٢٣٠٩) كتاب الفضائل. باب كان رسول الله ﷺ أحسنَ النَّاس خُلُقًا.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠٦) برقم (٢٥٩٩) كتاب البر والصلة والآداب. باب النهي عن لعن الدواب وغيرها.

(٣) لم أقف على قائلها.



٤ ربيع الأول

أُمُّ القُرَى

لذكر مكَّة وقْعٌ خاصٌّ في النفوس؛ فهي مهوى الأفئدة، وقُرَّة العيون، لها مع مواسم الطاعة التصاق وثيق، ففريضة الصلاة إلى كعبتها، ومناسك الحج لا تصحُّ إلَّا بزيارتها، وأمَّا الصيام والقيام في حرمها فله مذاقه الخاصُّ الذي لا يُدانيه شيءٌ.

مكَّة المكرَّمة بلد الله المعظَّم، التي طالما قصدها الزائرون عبر القرون، وكتب عنها وأرَّخ لها المصنِّفون والمؤرِّخون، وتغنَّى بجمالها وروحانيتها الشعراء المبدعون.

والأرواح دومًا في لهفٍ واشتياقٍ لمكَّة، فقد عطف الله تعالى القلوب إلى بيته الحرام وجعله مثابة للنَّاس، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾(١). أي: يثوبون إليه على تعاقُب الأعوام من جميع الأقطار، ولا يقضون منه وطرًا، بل كلَّما ازدادوا زيارة له ازدادوا له اشتياقًا، قال الشاعر:

لَا يَرجِعُ الطَّرفُ عَنهَا حِينَ يَنظُرُهَا　　　حَتَّى يَعُودَ إِلَيهَا الطَّرفُ مُشْتَاقًا(٢)

ولبلد الله الحرام الذي حرَّمه وشرَّفه أسماء كثيرة، وردتْ في كتابه وسُنَّة رسوله ﷺ، وكثرة المسمَّيات للشيء تدلُّ على شرف وعِظم المسمَّى، ومن هذه الأسماء: مكَّة؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾(٣)، وأيضًا: بكَّة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٤)، وأيضًا: الحرم؛ قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾(٥)، البلد والبلد الأمين والبلدة؛ قال تعالى: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾(٦)، وقال ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾(٧)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا ﴾(٨)، وغير هذه الأسماء.

---

(١) البقرة: ١٢٥.

(٢) ذكره ابن القيِّم في عددٍ من كتبه وكذا ذكره غيره دون نسبته لأحدٍ. يُنظَر: زاد المعاد في هدْي خير العباد (١/ ٥٢). زاد المعاد في هدْي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيِّم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت- مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥ هـ/١٩٩٤ م.

(٣) الفتح: ٢٤.

(٤) آل عمران: ٩٦.

(٥) العنكبوت: ٦٧.

(٦) البلد: ١.

(٧) التين: ٣.

(٨) النمل: ٩١.



ومن فضائل مكَّة؛ أنَّها أحبُّ البلاد إلى الله: ومن تفضيل الله تبارك وتعالى لمكَّة أن جعلها خير البلاد، وأحبَّها إليه وإلى رسوله ﷺ، فعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله ﷺ قال لمكَّة: ما أطيبَكَ من بلدٍ، وما أحبَّكِ إليَّ، ولولا أنَّ قومَكِ أخرجوني منكِ ما سكنْتُ غيرَكِ" رواه الترمذي(١).

ومن فضائلها أنَّ فيها بيت الله الحرام: قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾(٢)، فوضع فيها قواعد البيت بمعيَّة ابنه إسماعيل عليهما السلام وهما يسألان الله سبحانه القبول، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾(٣).

ومن فضائلها أنَّ الله تعالى جعلها حرمًا آمنًا حرَّم فيه القتال: عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله ﷺ قال يوم فتْح مكَّة:" إنَّ هذا البلد حرَّمه الله يوم خَلَق السموات والأرض، فهو حرامٌ بحُرمة الله إلى يوم القيامة، وإنَّه لم يحلَّ القتالُ فيه لأحدٍ قبلي، ولم يحلَّ لي إلَّا ساعةً من نهارٍ، فهو حرامٌ بحُرمة الله إلى يوم القيامة". رواه البخاري ومسلم(٤).

ومن فضائلها أنَّه لا يدخلها الدَّجَّال: رُوي عن أنس- رضي الله عنه- أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ قال:" ليس من بلدٍ إلَّا سيطؤه الدَّجَّال، إلَّا مكَّة والمدينة، ليس له من نقابها نقبٌ إلَّا عليه الملائكة صافِّين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيُخرِجِ الله كلَّ كافرٍ ومنافقٍ" رواه البخاري ومسلم(٥).

ومن فضائلها أنَّها مأرز الإيمان: رُوي عن ابن عمر- رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال:" إنَّ الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين: المسجد الحرام والمسجد النبوي، كما تأرز الحية في جحرها" رواه مسلم(٦).

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٧٢٣) برقم (٣٩٢٦) أبواب المناقب. باب في فضْل مكَّة. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سُنن الترمذي (٨/ ٤٢٦).

(٢) إبراهيم: ٣٧.

(٣) البقرة: ١٢٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٠٤) برقم (٣١٨٩) كتاب الجزية. باب إثم الغادر للبر والفاجر. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٨٦) برقم (١٣٥٣) كتاب الحج. باب تحريم مكَّة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلَّا لمنشدٍ على الدوام.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٢) برقم (١٨٨١) كتاب فضائل المدينة. باب لا يدخل الدَّجَّال المدينة. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٦٥) برقم (٢٩٤٣) كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب قصَّة الجسَّاسة.

(٦) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٣١) برقم (١٤٦) كتاب الإيمان. باب بيان أنَّ الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وأنَّه يأرز بين المسجدين.



ومن فضائلها مُضاعَفة الثواب والحسنات: عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:" صلاة في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه من المساجد؛ إلَّا المسجد الحرام" رواه البخاري(١).

وقال الحسن البصري رحمه الله: ما على وجه الأرض بلدة يرفع الله فيها الحسنة الواحدة غاية ألف حسنة إلَّا مكَّة، ومن صلَّى فيها صلاة رُفِعَتْ له مائة ألف صلاةٍ، ومَن صام فيها كُتِبَ له صومُ مائة ألف يومٍ، ومَن تصدَّق فيها بدرهم كُتِبَ له مائة ألف درهمٍ صدقة(٢).

دعوني أُقلِّبْ ها هنا دفتر المدى ... ففيه من الآياتِ ما سوفَ يُذْهِلُ
هنا كان (إبراهيمُ) كانَ هُنا (ابنُه) ... بكفَّيْهما يعلو البِناءُ ويكْمُلُ
وكان هنا خيرُ البرايا محمَّدٌ ... يُناجِي وفي ثَوْبِ التعبُّدِ يَرْفُلُ
هنا انسكبتْ أَنْوارُ خيرٍ ورحمةٍ ... وطابَ مقامٌ للمُحِبِّ ومَنْزِلُ
فضاءٌ فسيحٌ طِرْتُ فيه مُحلِّقًا ... أُصلِّي إلى كلِّ الجهاتِ وأُقْبِلُ(٣)

وممَّا يدل على فضْلها أنَّ الله سبحانه أضاف البيت الحرام في مكَّة إلى نفسه، فقال: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾(٤). فاقتضتِ هذه الإضافة الخاصَّة من الإجلال والتعظيم والمحبَّة ما اقتضتْه، ولو لم يكن له شرفٌ إلَّا إضافته إيَّاه لنفسه لكفى بهذه الإضافة فضْلًا وشرفًا.

وممَّا يدلُّ على فضْلها ومكانتها: ما جاء في المعاقبة على الهَمِّ بالسَّيِّئة فيها وإن لم تُفعَلْ، لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٥).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: فمجرد إرادة الظلم والإلحاد في الحرم مُوجِبٌ للعذاب، وإن كان غيره لا يُعاقَبُ العبدُ عليه إلَّا بعمل الظلم، وفي الآية الكريمة: وجوب احترام الحرم، وشدَّة تعظيمه، والتحذير من إرادة المعاصي فيه وفعلها(٦).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٦٠) برقم (١١٩٠) كتاب فضْل الصلاة في مسجد مكَّة والمدينة. باب فضْل الصلاة في مسجد مكَّة والمدينة. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠١٢) برقم (١٣٩٤) كتاب الحج. باب فضْل الصلاة بمسجدَيْ مكَّة والمدينة.

(٢) فضائل مكَّة (ص ٢١). فضائل مكَّة والسكن فيها، المؤلف: الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد (المتوفى: ١١٠هـ)، المحقِّق: سامي مكي العاني، الناشر: مكتبة الفلاح– الكويت.

(٣) من قصيدة للشاعر د. عبد الرحمن العشماوي بعنوان في جوف الكعبة. في جوف الكعبة - عبدالرحمن العشماوي - الديوان (aldiwan.net)

(٤) الحج: ٢٦.

(٥) الحج: ٢٥.

(٦) يُنظَر: تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٥٣٦).



وكان لعبد الله بن عمرو بن العاص- رضي اللهُ عنهما- فسطاطان: أحدهما في الحِلِّ والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يُعاتب أهله عاتبهم في الحِلِّ، وإذا أراد أن يُصلِّي صلَّى في الحرم[1]، وفي هذا تحذيرٌ شديدٌ لمن يرتكب المنكرات العظيمة والكبائر الموبقة في مكَّة كالرِّبا، والزِّنا، واستعمال المخدِّرات، ونشْر القنوات الفضائية السَّيِّئة، والاستماع إلى الغناء، وغير ذلك من المعاصي والمنكرات.

والخلاصة: أنَّ لمكَّة فضائل وردت في كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ، وأقوال السلف، فهي أحبُّ البقاع إلى الله، والقلوبُ مُنجذبةٌ إليها، لا يدخلها الدَّجَّال، والحسنات تُضَاعَف في مكَّة؛ وذلك لأنَّ شرف المكان له من الخصوصية في تعظيم العبادة ما ليس في غيره، وأنَّ هذه المضاعَفة ليس لها حدٌّ محدودٌ إلَّا في الصلاة.

---

(١) أخبار مكَّة للأزرقي (٢/ ١٣٢). أخبار مكَّة وما جاء فيها من الآثار، المؤلف: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (المتوفى: ٢٥٠هـ)، المحقِّق: رشدي الصالح ملحس، الناشر: دار الأندلس للنشر- بيروت.



٥ ربيع الأول
طَيبة الطَّيِّبة

إنَّ مدينة الرسول ﷺ طَيبة الطَّيِّبة، مَأرِز الإيمان، ومُلتَقَى المهاجرين والأنصار، ومُتَنَزَّل جبريل الأمين على النبي ﷺ، وقد سَمَّاهَا رسول الله ﷺ طَيْبَةَ وَطَابَةَ، روى مسلم في صحيحه مِن حَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنتِ قَيسٍ– رضي اللهُ عنها– فِي حَدِيثِ الجَسَّاسَةِ قَولُهُ ﷺ:" هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، يَعْنِي الْمَدِينَةَ"(١).

وأمَّا طابة وطيبة فمن الطِّيب، وهو الرائحة الحسنة، فهي آمِنة مستقرَّة، وهي طيبة العيش، حسنة المسكن، وقد نهى النبي ﷺ عَنْ تَسْمِيَتِهَا بِيَثْرِب فقال:" مَنْ سَمَّى الْمَدِينَةَ يَثْرِب؛ فَلْيَسْتَغْفِرْ اللهَ عزَّ وجلَّ، هِيَ طَابَةُ، هِيَ طَابَة" رواه أحمد(٢).

هذه المدينة المباركة قد شرَّفها الله وفضَّلها وجعلها خير البقاع بعد مكَّة، وقد وردت النصوص الكثيرة في فضْلها وحُرمتها ومكانتها، إخبارًا ودعاءً، وترغيبًا وترهيبًا.

على ثرى طيبة تأسَّست أوَّل دولة في الإسلام، تحمل كلمة التوحيد عقيدةً وسلوكًا ومنهج حياة، على ثراها تآخى المهاجرون والأنصار؛ إنَّها طيبة التي ضمَّت في أحشائها رهط السابقين من الرجال المؤمنين الذين خرجوا من رحابها إلى الدنيا الواسعة، ففتحوا الأمصار، وعمَّروا الديار، ونشروا العدل، وملأوا الأقطار، تَقدُّمًا وعلمًا ورخاءً.

بلدةٌ آمِنة، ومدينة ساكنة، لا يُهراق فيها دم، ولا يُحمَل فيها سلاحٌ لقتال؛ فعن سهل بن حنيف– رضي الله عنه– قال: أهوى رسول الله ﷺ بيده إلى المدينة فقال:" إنَّها حَرَمٌ آمِنٌ" رواه مسلم(٣).

فهي دارةُ المحاسن، ودائِرة الميامن، طيبة الغرَّاء، وطابةُ الفيحاء، تُوسِعُ العينَ قُرَّة، والنَّفْسَ مَسرَّة، الفضائل مجموعةٌ فيها، والإيمان يأرِز في نواحيها؛ فعن أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ الإيمانَ ليأرِز إلى المدينة كما تأرِز الحيَّة إلى جحرها" متفق عليه(٤).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٦٢) برقم (٢٩٤٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب قصَّة الجسَّاسة.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٤٨٣) برقم (١٨٥١٩). والحديث ضعَّفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السَّيِّئ في الأُمَّة (١٠/ ١٢١). سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السَّيِّئ في الأُمَّة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض– الممكلة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٠٣) برقم (١٣٧٥) كتاب الحج. باب الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢١) برقم (١٨٧٦) كتاب فضائل المدينة. باب الإيمان يأرز إلى المدينة. ومسلم في صحيحه (١/ ١٣١) برقم (١٤٧) كتاب الإيمان. باب بيان أنَّ الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وأنَّه يأرز بين المسجدين.

وهي متنفَّس الخواطِر، ومَرتع النواظر، بلدةٌ معشوقَة السكنى، طيِّبة المثوى، سكنُها مع الإيمان شرفٌ بالغٌ، واستيطانُها مع التَّقوى عِزٌّ شامخٌ؛ فعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أنَّ النبيَّ ﷺ قال:" مَن استطاعَ أن يموتَ بالمدينة فلْيفعلْ، فإنِّي أشفع لمن مات بها" رواه أحمد(١)، وقال أيضًا:" مَن مات بالمدينة كنتُ له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة"(٢).

ومن فضائل المدينة: أنَّ الله جعلها حرمًا، فقد روى مسلم مِن حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ- رضي اللهُ عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال:" اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا، مَا بَيْنَ مَأْزِمَيْهَا، أَنْ لَا يُهْرَاقَ فِيهَا دَمٌ، وَلَا يُحْمَلَ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ، وَلَا تُخْبَطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا لِعَلْفٍ"(٣).

وحَرَمُ المدينة هو ما بين لابتيها، واللابتان الحرتان وهي الأرض التي تغطيها الحجارة السوداء، فهي بين الحرتين شرقًا وغربًا، وما بين عير إلى ثور يمنًا وشامًا، روى البخاري ومسلم في صحيحَيْهما مِن حَدِيثِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ- رضي اللهُ عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال:" الْمَدِينَةُ حَرَامٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ"(٤).

ومنها: ما جاء عن النبيِّ ﷺ من الدعاء لها بالبركة، روى مسلم في صحيحه مِن حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ- رضي اللهُ عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال:" اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ مَا مِنَ الْمَدِينَةِ شِعْبٌ وَلَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكَانِ يَحْرُسَانِهَا حَتَّى تَقْدَمُوا إِلَيْهَا "(٥).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٩/ ٣٢٠) برقم (٥٤٣٧). والحديث صحَّحه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ١٠٣٤).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤/ ٣٣١) برقم (٨٢٣). المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقِّق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية- القاهرة، الطبعة: الثانية. وصحَّح إسناده صاحب كتاب "الأحاديث الواردة في فضائل المدينة" كما في المختصر (ص ٢٦). مختصر كتاب "الأحاديث الواردة في فضائل المدينة" المؤلف: الدكتور صالح بن حامد بن سعيد الرفاعي. تلخيص: أُمُّ الليث.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٠١) برقم (١٣٧٤) كتاب الحج. باب الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١٥٤/٨) برقم (٦٧٥٥) كتاب الفرائض. باب إثم مَن تبرَّأ من مواليه. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٩٤) برقم (١٣٧٠) كتاب الحج. باب فضْل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٠١) برقم (١٣٧٤) كتاب الحج. باب الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها.



ومنها: أنَّ في المدينة مسجد قباء، والصلاة فيه تعدل عمرة، فقد جاء مِن حَدِيثِ سَهْلِ بنِ حُنَيْفٍ- رضي اللهُ عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال:" مَنْ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ هَذَا الْمَسْجِدَ؛ يَعْنِي مَسْجِدَ قُبَاءَ، فَيُصَلِّيَ فِيهِ كَانَ كَعَدْلِ عُمْرَةٍ "رواه النسائي(١).

ومنها: فضْل الروضة الشريفة، عن أَبِي هُرَيرَةَ- رضي اللهُ عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال:" مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي" متفق عليه(٢).

ومنها: أنَّ مَن أرادَ أهلَها بسوءٍ أهلكه الله، روى البخاري ومسلم عن حَدِيثِ سَعدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ- رضي اللهُ عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال:" مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةَ بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ"(٣).

وهي محبوبة رسول الله ﷺ من البلاد: كيف لا؟ وقد آوته، ونصره أهلها فأحبَّها وأحبَّهم، بل وأحبَّ جبالها وآطامها، ففي صحيح البخاري أنَّه ﷺ دعا ربَّه قائِلًا:" اللَّهُمَّ حبِّبْ إلينا المدينة كحُبِّنا مكَّة أو أشدَّ"(٤)، وقال في جبل أُحُد:" هذا جبلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه" رواه البخاري(٥)، فأيُّ حُبٍّ هذا الذي غمر النبي ﷺ فغدا يُصرّح به ولا يكتمه، أمَّا حُبُّه لأهلها فقد بلغ مبلغًا عظيمًا، حتَّى صرَّح بمكنونه لهم فقال:" لو سلكَ النَّاسُ واديًا، وسلكتِ الأنصارُ واديًا أو شِعْبًا؛ لسلكتُ وادي الأنصار أو شِعْبَ الأنصار" رواه مسلم(٦).

أنا المدينـةُ مَـن في الكـونِ يجهلُـني ... ومَـن تـراه درى عـني ومـا شغـلا

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٥/ ٣٥٨) برقم (١٥٩٨١). والنسائي في السنن الكبرى (١/ ٣٨٧) برقم (٧٨٠) كتاب المساجد. فضْل مسجد قباء والصلاة فيه. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سُنن النسائي (٢/ ٣٤٣). صحيح وضعيف سُنن النسائي، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية- المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسُّنَّة بالإسكندرية.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/٦١) برقم (١١٩٦) كتاب فضْل الصلاة في مسجد مكَّة والمدينة. باب فضْل ما بين القبر والمنبر. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠١١) برقم (١٣٩١) كتاب الحج. باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنَّة.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/٢١) برقم (١٨٧٧) كتاب فضائل المدينة. باب إثم مَن كادَ أهل المدينة. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٠٨) برقم (١٣٨٧) كتاب الحج. باب مَن أراد أهل المدينة بسوءٍ أذابه الله. واللفظ لمسلم.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢/٢٣) برقم (١٨٨٩) كتاب فضائل المدينة. باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٠٣) برقم (١٣٧٦) كتاب الحج. باب الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/٣٥) برقم (٢٨٨٩) كتاب الجهاد والسِّيَر. باب فضْل الخدمة في الغزو. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٩٣) برقم (١٣٦٥) كتاب الحج. باب فضْل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٩/٨٦) برقم (٧٢٤٤) كتاب التَّمنِّي. باب ما يجوز من اللَّو.

تتلَّمذَ (المجدُ) طفلًا عند مدرستي حتَّى تخرَّج منها عالمًا رجُلا
فتحتُ قلبي (لخير الخلْق) قاطبة فلم يُفارقْه يومًا منذ أن دخلا
وصرتُ (سيدة الدنيا) به شرفًا واسمي لكلِّ حدودِ الأرضِ قد وصلا
ومسجدي كان- بل ما زالَ- أُمنيةً تصبو إليها قلوبٌ ضلَّتِ السُّبُلا
وفي هواي (ملايين) تنامُ على ذِكري وتصحو على طيفي إذا ارتحلا
تنافسُوا في غرامي، أرسلوا كُتبًا وأنفقوا عندها الرَّكبانَ والرُّسلا
أنا (المنوَّرةُ) الفيحاءُ ذا نسبي إذا البدورُ رأتْني أطرقتْ خَجَلا[١]

وأمَّا عن فضيلة العيش فيها وتفضيلها عمَّا سواها من البلاد فقد قال ﷺ:" تُفتَح اليمنُ فيأتي قومٌ يُبِسُّون- أي يُزيِّنون لهم البلاد ويُحبِّبُوها إليهم ويدعوهم إلى الرحيل إليها- فيتحملُّون بأهليهم ومَن أطاعهم، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، وتُفتَح الشام فيأتي قومٌ يُبِسُّون فيتحملُّون بأهليهم ومَن أطاعهم، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، وتُفتَح العراق فيأتي قومٌ يُبِسُّون فيتحملُّون بأهليهم ومَن أطاعهم، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون" متفق عليه[٢].

والخلاصة: أنَّ المدينة كانت حبيبةً لقلب النبي ﷺ وهي حرمٌ، وأرضٌ مُباركَةٌ، وفي طعامها وشرابها وسُكناها وأهلها، ولا يسكنها ويقرُّ فيها إلَّا الطَّيِّبون، فهي تنفي خبثها، ولدخولها وسُكناها فضائل عظيمة، وفوائد كثيرة، نسأل الله أن يُعجِّل لنا بزيارة لها، والصلاة في مسجد النبي ﷺ.

---

(١) الأبيات للشاعر عبد المحسن حليت المحمادي الحربي، ولم أقف على ديوان له.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/٢١) برقم (١٨٧٥) كتاب فضائل المدينة. باب مَن رغب عن المدينة. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٠٨) برقم (١٣٨٨) كتاب الحج. باب الترغيب في المدينة عند فتْح الأمصار. مع اختلافٍ يسيرٍ بينهما.

٦ ربيع الأول

المسجد الحرام

لقد اهتمَّ القرآن الكريم بالحديث عن المساجد بصفة عامة، وعن المسجد الحرام بصفة خاصة، ومن مظاهر هذا الاهتمام؛ أنَّ القرآن الكريم قد نوَّه بعلو شأنها كما في قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾(١)، كذلك من مظاهر هذا الاهتمام أنَّ الله تعالى قد بيَّن أنَّ هذه المساجد التي تُقام فيها العبادات؛ يجب أن تُنسَب إليه وحده، فقال: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾(٢).

والمسجد الحرام بأُمِّ القُرى بمكَّة المكرَّمة أشرف المساجد، بأفضل بقعة في الأرض، فخيرُ البِقاعِ عندَ اللهِ وأحبُّها إليه مكَّة، وقد قال ﷺ:" واللَّهِ إنَّكِ لخيرُ أرضِ اللَّهِ، وأحبُّ أرضِ اللَّهِ إلى اللهِ، ولولا أنِّي أُخرِجتُ منكِ ما خَرجتُ" رواه أحمد(٣).

ومسجِدُها أشرفُ المساجِد، وهو أوَّلُ بيتٍ وُضِعَ في الأرضِ، قال أبو ذرٍّ– رضي الله عنه–: يا رسول الله؛ أيُّ مسجدٍ وُضِعَ في الأرضِ أوَّلَ؟ قال: المسجدُ الحرامُ، قال: قُلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: المسجدُ الأقصَى، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً" متفقٌ عليه(٤). والمقصود من الحديث الإشارة إلى أوَّل بناء المسجدين، وقد قيل: بناهما جميعا آدمُ– عليه السلام–، وقيل: بَنَى آدمُ المسجد الحرام، وبنى بعضُ أبنائه المسجد الأقصى، فكان بين البناءين أربعون سنة، ثم بعد ذلك جدَّدَ بناءَ المسجد الحرام إبراهيمُ– عليه السلام–، وجدَّدَ بناءَ المسجد الأقصى سليمانُ– عليه السلام–.

وجعلَ اللهُ البيتَ الحرام مثابةً للناسِ وأمنًا، فإليه يفِدُ الخَلْقُ على تعاقُبِ الأعوامِ من كلِّ فجٍّ عميقٍ، تشتَاقُ له الأرواحُ، وتحِنُّ إليه النفُوس، وإن زارُوه زادَ شوقُهم إليه، قصَدَه الأنبياءُ؛ فحجَّ موسى ويونُسُ ومحمدٌ– عليهم جميعًا الصلاة والسلام–، قال ﷺ:"كأني أنظرُ إلى موسى– عليه السلام–

---

(١) النور: ٣٦-٣٨.

(٢) الجن: ١٨.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣١/ ١٠) برقم (١٨٧١٥). والترمذي في جامعه (٧٢٢/٥) برقم (٣٩٢٥) أبواب المناقب. باب في فضْل مكَّة. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سُنن الترمذي (٨/ ٤٢٥).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١٤٥/٤) برقم (٣٣٦٦) كتاب أحاديث الأنبياء. باب بدون ترجمة. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٧٠) برقم (٥٢٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

هابِطًا من الثنيَّةِ وله جُؤارٌ إلى اللهِ بالتلبيةِ، وكأنِّي أنظرُ إلى يُونسَ بن متَّى– عليه السَّلامُ– على ناقةٍ حمراءَ وهو يُلبِّي" رواه مسلم(١).

وشرَّفَ اللهُ البيتَ الحرام فأضافَه إلى نفسهِ، وأمَرَ بتطهيرِه مما يُضادُّ ذلك من الأصنام وعبادةِ الأوثان، فقال: ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾(٢).

وجعَلَ قصدَه مُكفِّرًا لما سَلَفَ من الخطايا والذنوب، قال ﷺ كما في الصحيحين:" مَن حجَّ هذا البيتَ فلم يَرفُثْ ولم يَفسُقْ رَجَع كما ولَدَتْه أمُّه"(٣)، ولم يرضَ اللهُ لقاصِدِه ثوابًا دونَ الجنَّة قال ﷺ:" العمرةُ إلى العمرةِ كفَّارَةٌ لِما بينَهمَا، والحجُّ المبرورُ ليسَ لهُ جزاءٌ إلَّا الجنَّةُ" متفقٌ عليه(٤).

وهو قِبلةُ أهلِ الأرضِ جميعًا، يتوجَّهُ كلُّ مسلمٍ إلى جِهتِه كلَّ يومٍ مرارًا، قال سبحانه: ﴿ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾(٥)، ومَن ماتَ مِن المسلمين وُجِّه قبرُهُ إليه، وقد عَظَّم سبحانه حُرمَتَه، فلا تُستقبَلُ جهةُ البيتِ الحرامِ حالَ البولِ أو الغائِطِ، قال ﷺ:" لا تستقبِلُوا القبلةَ بغائطٍ أو بولٍ، ولكن شرِّقوا أو غرِّبوا " متفقٌ عليه(٦).

وإليه يُساق الهَدْيُ والقرابين، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴾(٧).

وفي بيتِ اللهِ الحرامِ الحجرُ الأسودُ، وفيه يقول النبي ﷺ:" نزَلَ مِن الجنَّة أشدَّ بياضًا من اللبنِ فسوَّدَته خطايا بني آدم" رواه أحمد(٨).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٥٢) برقم (١٦٦) كتاب الإيمان. باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات.

(٢) الحج: ٢٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١٤٥/٤) برقم (١٨١٩) أبواب المحصر. باب قول الله تعالى ﴿فلا رفث﴾. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٨٣) برقم (١٣٥٠) كتاب الحج. باب في فضْل الحج والعمرة ويوم عرفة.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢/٣) برقم (١٧٧٣) أبواب العمرة. باب وجوب العمرة وفضْلها. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٨٣) برقم (١٣٤٩) كتاب الحج. باب في فضْل الحج والعمرة ويوم عرفة.

(٥) البقرة: ١٤٤.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٨٨/١) برقم (٣٩٤) كتاب الصلاة. باب قبلة أهل المدينة والشام والمشرق. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٢٤) برقم (٢٦٤) كتاب الطهارة. باب الاستطابة.

(٧) الحج: ٣٣.

(٨) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٤٧٢) برقم (٣٥٣٧). والترمذي في جامعه (٣/ ٢١٧) برقم (٨٧٧) أبواب الحج. باب ما جاء في فضْل الحجر الأسود والركن والمقام. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سُنن الترمذي (٢/ ٣٧٧).



وهو حجرٌ لا ينفَعُ ولا يضُرُّ، وإنما يُقبَّلُ امتِثالًا للسُنَّة، قال عمر- رضي الله عنه-:" إِنِّي أعلمُ أنَّك حجَرٌ لا تضُرُّ ولا تَنفَعُ، ولولا أنِّي رأيتُ النبي ﷺ يُقبِّلُك ما قبَّلتُك" متفقٌ عليه(١).

وفي البيتِ آياتٌ بيِّناتٌ؛ منها مقامُ إبراهيم- عليه السلام-، الذي أمرَنا الله تعالى أنْ نتَّخِذَ منه مُصلَّى، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾(٢).

قال العلَّامة السعدي: يُخبر تعالى عن شرف هذا البيت الحرام، وأنَّه أوَّلُ بيتٍ وضعه اللهُ للنَّاس، يتعبَّدون فيه لربِّهم فتُغفَر أوزارهم، وتُقال عثارهم، ويحصل لهم به من الطاعات والقُرُبات ما ينالون به رضا ربِّهم والفوز بثوابه والنجاة من عقابه، ولهذا قال: ﴿مُبَارَكًا﴾ أي: فيه البركة الكثيرة في المنافع الدينية والدنيوية كما قال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ﴾(٣)، ﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ والهُدَى نوعان: هُدى في المعرفة، وهُدى في العمل، فالهُدى في العمل ظاهرٌ، وهو ما جعل الله فيه من أنواع التعبُّدات المختصَّة به، وأمَّا هُدى العلم فبما يحصل لهم بسببه من العلم بالحقِّ بسبب الآيات البيِّنات التي ذكر الله تعالى في قوله ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ أي: أدلَّة واضحات، وبراهين قاطعات على أنواع من العلوم الإلهيَّة والمطالب العالية، كالأدلَّة على توحيده ورحمته وحِكمته وعظمته، وجلاله وكمال علمه وسعة جوده، وما مَنَّ به على أوليائه وأنبيائه، فمن الآيات ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ يحتمل أنَّ المراد به المقام المعروف وهو الحَجَر الذي كان يقوم عليه الخليل لبنيان الكعبة لما ارتفع البنيان، وكان ملصقًا في جدار الكعبة، فلمَّا كان عمر- رضي الله عنه- وضعه في مكانه الموجود فيه الآن.

والآية فيه قيل: أثر قدمَيْ إبراهيم؛ قد أثَّرتْ في الصخرة، وبقي ذلك الأثر إلى أوائل هذه الأُمَّة، وهذا من خوارق العادات، وقيل: إنَّ الآية فيه ما أودعه الله في القلوب من تعظيمه وتكريمه وتشريفه واحترامه، ويحتمل أنَّ المراد بمقام إبراهيم أنَّه مُفرَدٌ مُضافٌ يُرادُ به مقاماتُه في مواضع المناسك كلِّها،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/١٤٩) برقم (١٥٩٧) كتاب الحج. باب ما ذُكِرَ في الحجر الأسود. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٢٥) برقم (١٢٧٠) كتاب الحج. باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف.

(٢) آل عمران: ٩٦- ٩٧.

(٣) الحج: ٢٨.



فيكون على هذا جميع أجزاء الحج ومفرداته آيات بينات، كالطواف والسعي ومواضعها، والوقوف بعرفة ومزدلفة، والرمي، وسائر الشعائر، والآية في ذلك ما جعله الله في القلوب من تعظيمها واحترامها وبذْل نفائس النفوس والأموال في الوصول إليها وتحمُّل كلِّ مشقَّةٍ لأجْلِها[١].

يَا أرْضَ مكَّةَ فوقَ ثَغْرِكِ بسمةٌ ... نشـوى وفي عينيـكِ مـَا أهـواهُ
يَا أرْضَ مكَّةَ في رِحابِكِ راحةٌ ... تمحو عن القلبِ الحزينِ أسَاهُ
شـــوقٌ تضجُ به مواطنُ لهفتي ... يـَا ربِّ بلِّغْ مَن يُحِبُّ مُناهُ[٢]

والخلاصة: أن يعلم المسلم شرف المسجد الحرام، ويعرف قدره، ورفعة شأنه وعظيم حُرمته؛ فيُعظِّم ما عظَّمه الله ورسوله، ويُحِبُّه لحُبِّ الله ورسوله ﷺ له، ويعرف كيف ارتباط المسلم به كمسجدٍ مُقدَّسٍ وقبلة لعموم المسلمين، تهفو إليه الأفئدة وتشتاقه الأرواح ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾[٣].

---

(١) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ١٣٨).
(٢) لم أقف على قائل هذه الأبيات.
(٣) الحج: ٣٢.

٧ ربيع الأول

المسجد النبوي

يُعَدُّ المسجد النبوي في المدينة المنوَّرة ثاني أقدس المواقع الدينية الإسلامية على الإطلاق، وكان إمامَه الأوَّلَ النبيُّ محمَّدٌ ﷺ شخصيًّا، فقد أسَّس النبي ﷺ المسجد في السنة الأولى للهجرة. وكان ثاني المساجد التي تُبنَى في المدينة، فقد سبقه مسجد قباء.

أُسِّس المسجد النبوي في ربيع الأوَّل من العام الأوَّل من الهجرة، وكان طوله سبعين ذراعًا، وعرضه ستين ذراعًا، أي ما يقارب ٣٥ مترًا طولًا، و٣٠ مترًا عرضًا، وكان أساسه من الحجارة، والدار من اللَّبِن وهو الطوب الذي لم يُحرَق بالنَّار، وكان النبي ﷺ يبني مع صحابته اللَّبِن والحجارة، وجعل له ثلاثة أبواب، وسقفه من الجريد.

ولما ازدحم المسجد وكثر المسلمون قام النبي ﷺ بتوسيعه؛ وذلك في السنة السابعة من الهجرة بعد عودته من خيبر، فزاد في طوله عشرين ذراعًا وفي عرضه كذلك، وكان عثمان بن عفان- رضي الله عنه- هو الذي اشترى هذه البقعة التي أضافها النبي ﷺ.

والمسجد النبوي هو المسجد الذي أُسِّس على التقوى من أوَّل يوم؛ قال الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[١].

روى الإمام أحمد عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ- رضي الله عنه- قَالَ: اخْتَلَفَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: هُوَ مَسْجِدُ الْمَدِينَةِ، وَقَالَ الْآخَرُ: هُوَ مَسْجِدُ قُبَاءٍ، فَأَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: هُوَ مَسْجِدِي هَذَا[٢].

والصلاة في المسجد النبوي بألف صلاةٍ فيما سواه إلَّا المسجد الحرام؛ قال ﷺ:" صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاةٍ فيما سواه إلَّا المسجد الحرام" رواه البخاري ومسلم[٣].

---

(١) التوبة: ١٠٨.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٤٦٤) برقم (٢٢٨٠٥). والحديث جاء معناه في صحيح مسلم (٢/ ١٠١٥) برقم (١٣٩٨) كتاب الحج. باب بيان أنَّ المسجد الذي أُسِّس على التقوى هو مسجد النبي ﷺ بالمدينة.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٦٠) برقم (١١٩٠) كتاب فضْل الصلاة في مسجد مكَّة والمدينة. باب فضْل الصلاة في مسجد مكَّة والمدينة. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠١٢) برقم (١٣٩٤) كتاب الحج. باب فضْل الصلاة بمسجدَيْ مكَّة والمدينة.



والمسجد النبوي آخر مساجد الأنبياء؛ ففضْله على غيره من المساجد كفضل نبيّه ﷺ، عن أبي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" إِنِّي آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ مَسْجِدِي آخِرُ الْمَسَاجِدِ" رواه مسلم(١).

وفي المسجد النبوي روضةٌ من رياض الجنَّة؛ كما أخبر بذلك النبي ﷺ عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال:" ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنَّة، ومنبري على حوضي" رواه البخاري ومسلم(٢).

وإنَّ اختيار مدينته ومكان بنائه من عند الله تعالى، عن أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ القُرَى، يَقُولُونَ: يَثْرِبُ، وَهِيَ المدِينَةُ، تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ" رواه البخاري ومسلم(٣).

ولما دخل رسولُ الله ﷺ المدينة أَخذوا خطامَ راحلته، فكان يقول لهم:" خَلُّوا سبيلَها فإنَّها مأمورة"(٤)، فلم تزل تسير به حتَّى وصلت إلى موضع المسجد النبوي.

وعلى المسلم أن يتحلَّى بآدابٍ مُعيَّنةٍ عند دخوله المسجد النبوي، ومن ذلك:

يُسَنُّ للزائر أن يدخُلَهُ برجلهِ اليمنى، وأن يقرأ دعاء دخول المسجد، كما يُسَنُّ له أن يُؤدِّي ركعتَيْ تحية المسجد، وزيارة قبر رسول الله ﷺ وقبر أبي بكر الصِّدِّيق وعمر- رضي الله عنهما-.

وأن لا يرفع صوته عند قبر رسول الله ﷺ؛ فقد أمَر اللهُ المؤمنين بأن يغُضُّوا أصواتهم عندَ رسوله ﷺ. فعن السائب بن يزيد- رضي الله عنه- قال: كُنْتُ قَائِمًا فِي المسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ- رضي الله عنه-، فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا، قَالَ:

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠١٢) برقم (١٣٩٤) كتاب الحج. باب فضْل الصلاة بمسجدَيْ مكَّة والمدينة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦١/٢) برقم (١١٩٦) كتاب فضْل الصلاة في مسجد مكَّة والمدينة. باب فضْل ما بين القبر والمنبر. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠١١) برقم (١٣٩١) كتاب الحج. باب ما بين القبر والمنبر روضةٌ من رياض الجنَّة.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢٠/٣) برقم (١٨٧١) كتاب فضائل المدينة. باب فضْل المدينة وأنَّها تنفي الناس. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٠٦) برقم (١٣٨٢) كتاب الحج. باب المدينة تنفي شرارها.

(٤) ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٤٩١). البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م.

مَن أنْتُما؟ أوْ: مِن أيْنَ أنْتُمَا؟ قَالَا: مِن أهْلِ الطَّائِفِ، قَالَ: لو كُنْتُما مِن أهْلِ البَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا، تَرْفَعَانِ أصْوَاتَكُما في مَسْجِدِ رسول الله ﷺ! رواه البخاري(١).

والابتعادُ عن البدع، كالتوسُّل، أو التمسُّحِ والتبرُّكِ بالقبرِ، أو ما شابهَ ذلك.

والملاحِظُ الجيِّدُ لسيرة النبي ﷺ يجد أنَّ أوَّل عملٍ قام به ﷺ في قباء كان بناء المسجد، وأنَّ أوَّل عملٍ قام به الرسول ﷺ في المدينة كان بناء المسجد أيضًا، وهذا الأمر لم يكن على سبيل المصادفة، ولم يكن مجرد إشارة عابرة، بل هو منهج أصيل، فلا قيام لأُمَّة إسلاميَّة بغير تفعيل دور المسجد؛ لأنَّ المساجد الآن كثيرة، لكنَّ الكثير منها غير مُفعَّل، ولا يقوم بدوره المنوط به.

وأهمُّ دورٍ للمسجد هو الحفاظ على إيمان المسلمين، فهذا المسجد يحفظ على المسلمين دينهم؛ لأجل هذا كانت حياة المسلمين تدور في مجملها حول المسجد، فالصلاة في المسجد، ولا تُقبَل الأعذارُ في التخلُّف عن الصلاة إلَّا في ظروفٍ ضيقةٍ ومحدودةٍ جدًّا.

- المسجد مكان التقاء المسلمين وتقوية الأواصر بينهم.

- المسجد يُقوِّي ويُنمِّي الروابط والأواصر بين المسلمين، ويُذيب الفوارق بينهم، فالحاكم يُصلِّي بجوار المحكوم، والغني بجوار الفقير، فالمسجد يتعاون فيه المسلمون على البِرِّ والتقوى دون النظر إلى الفوارق الطبقيَّة التي بينهم.

- المسجد يُعَدُّ مدرسة لتعليم المسلمين كلَّ أمورِ حياتِهم.

- المسجد مكانٌ لقيادة الأُمَّة، فزعماء الأُمَّة الإسلاميَّة كانوا دائمًا في زمان ازدهار الأُمَّة الإسلاميَّة، سواء أيَّام الرسول ﷺ أو أيَّام الخلفاء الراشدين، أو في أيِّ عصرٍ من عصور النهضة والحضارة الإسلاميَّة؛ كانوا دائمًا يرتبطون بالمسجد ارتباطًا قويًّا.

- لم يكن المسجد مقرًّا للحُكم والسياسة والقضاء فحسب، بل كان المسجد أيضًا مكانًا لإعلان أفراح المسلمين، ومكانًا لتربية الأطفال، ومكانًا للترفيه أيضًا.

- كان المسجد مأوى للفقراء وعابري السبيل، وكان مكانًا لمداواة المرضى.

وعن المدينة المنوَّرة عامَّة، ومسجدها النبوي خاصَّة؛ يقول الشاعر محمد أحمد العمرى:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/١٠١) برقم (٤٧٠) كتاب الصلاة. باب رفْع الصوت في المساجد.

أبَعْـدَ رَوضـتِها الغَنَّـا وَقُبَّتِهـا الـْ خَضَـراءِ يَحلُـو بعَيـنَيْ مُسـلِمٍ وَطَـنُ؟!
كلُّ المنَى فِي رِحَاب المصطفى جُمِعتْ دِينًـا ودُنيا فمـا في مِثلِها ثَمَنُ
ما كُنتُ أعرِفُ مَا للشـوقِ مِنْ أثرٍ حتَّى ترحَّلَ بي عن رَبْعِهـا البَدَنُ[(١)]

والخلاصة: أنَّ المسجد النبوي كان مصنعًا للرجال وللقادة، وهكذا ينبغي أن تكون المساجد حتَّى تعود الأُمَّة الإسلاميَّة لسابق عهدها، وترجع لأوج مجدها، فالمسجد النبوي كان منبع نور وهداية في كلِّ مناحي الحياة، ومأوى لكلِّ الحائرين والتائهين، وملاذًا للفقراء والضعفاء، ومدرسة لقاصدي العلوم من منبعها النبوي النوراني.

---

(١) لم أقف عليها.

٨ ربيع الأول

المسجد الأقصى

تأتي أهمِيَّة المسجد الأقصى لدى المسلمين نظرًا لقيمته الدينيَّة، فهو أوَّل القبلتين ومسرى رسول الله محمَّدٍ ﷺ، والمسجدُ الأَقصى المبارَكُ مَعلَمٌ دينيٌّ وتاريخيٌّ، ومِن أهمِّ المقدَّساتِ في تاريخِ المسلمين، وتَرتَبِطُ قُدسيَّتُه بحوادِثَ دينيَّةٍ وعَقديَّة أكثَر من مُجرَّد ارتباطِهم بالمكان الجغرافيّ المتمثِّلِ بأرضِ فِلسطينَ ذات الحضاراتِ الدينيَّة المتواترةِ، والمتمثِّلةِ بزياراتِ الأنبياءِ أو إقامتهم وبَعثِهم، وقَد كانَ المسجِدُ الأقصى قِبلَةَ جَميعِ أنْبياءِ اللهِ، كَما كان قِبلَة المسلِمين الأولى، وحَولهُ تَدورُ حادِثةُ الإسراءِ؛ المعجِزةُ التي شرَّف الله بها نبيَّهُ محمَّدًا ﷺ مِن مكَّةَ إلى المسجِدِ الأقصى، وفيه صلَّى نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ إمامًا بجميع الأنبياء، ثمَّ أُسري به إلى السَّماءِ السابعةِ في مُعجِزةٍ أُخرى سُمِّيت المِعراج.

والله سبحانه وتعالى- لحِكمة ربانيَّة ومنحة إلهيَّة- يُحِبُّ ويصطفي مِن خلْقه ما شاء من الرسل والأنبياء، والبلاد والبقاع، ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ﴾[١]، وإنَّ ممَّا اجتباه الله، وقدَّسه وشرَّفه، وعظَّمه وكرَّمه؛ المسجد الأقصى وقُدسه المقدَّس، فقد ذكره الله تعالى في القرآن الكريم بلفظ التقديس والأرض المقدَّسة والمسجد الأقصى، وباركه وبارك ما حوله، ففاضت بركته الدينيَّة والدنيويَّة، وأقسم الله بثمرته فقال: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾[٢]، إشارة إلى المسجد الأقصى.

وآيات القرآن الكريم ناطقةٌ بشرف هذا المسجد المبارك في غير موضع، ووَصَفَ بيت المقدس ومسجده بالبركة، وهي النماء والزيادة في الخيرات والمنح والهبات؛ حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾[٤]، حكاية عن الخليل إبراهيم عليه السلام في هجرته الأولى إلى بيت المقدس وبلاد الشام.

قال العلَّامة السعدي: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا﴾ وذلك أنَّه لم يؤمن به من قومه إلَّا لوط عليه السلام، وقيل: إنَّه ابن أخيه، فنجَّاه الله، وهاجر ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: الشام، فغادر

(١) القصص: ٦٨.

(٢) التين: ١.

(٣) الإسراء: ١.

(٤) الأنبياء: ٧١.



قومه في " بابل " من أرض العراق، ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(١)، ومن بركة الشام أنَّ كثيرًا من الأنبياء كانوا فيها، وأنَّ الله اختارها مُهاجرًا لخليله، وفيها أحد بيوته الثلاثة المقدَّسة، وهو بيت المقدس(٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَاۖ﴾(٣)، وفي قصَّة سليمان عليه السلام يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ﴾(٤)، وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾(٥)، وعند حديث القرآن عن هناءة ورغد عيش أهل سبأ يقول سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً﴾(٦)، وهي قُرى بيت المقدس كما رُوي عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-. ولقد وصف القرآن أرضها بالرَّبوة ذات الخصوبة، وهي أحسن ما يكون فيه النبات، وماءها بالمعين الجاري. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾(٧) ، وهو بيت المقدس.

وقد ذكر عددٌ كبيرٌ من المفسِّرين في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾(٨) أنَّها نزلت في (بختنصَّر) لأنَّه كان خرَّب بيت المقدس(٩).

ومن فضائل المسجد الأقصى: عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ قال:" لَا تُشَدُّ الرِّحالُ إِلَّا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، ومسجد الأقصى" رواه البخاري ومسلم(١٠).

---

(١) العنكبوت: ٢٦.

(٢) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٥٢٧).

(٣) الأعراف: ١٣٧.

(٤) الأنبياء: ٨١.

(٥) المائدة: ٢١.

(٦) سبأ: ١٨.

(٧) المؤمنون: ٥٠.

(٨) البقرة: ١١٤.

(٩) ذكره الطبري في تفسيره، تفسير الطبري= جامع البيان (٢/ ٥٢١).

(١٠) رواه البخاري في صحيحه (٦٠/٢) برقم (١١٨٩) كتاب فضْل الصلاة في مسجد مكَّة والمدينة. باب فضْل الصلاة في مسجد مكَّة والمدينة. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠١٤) برقم (١٣٩٧) كتاب الحج. باب لا تُشدُّ الرِّحالُ إلَّاإلى ثلاثة مساجد.

فالمسلم منهيٌّ عن السفر إلى أيِّ مكانٍ لقصْد العبادة؛ مسجدًا كان أو غيره ما عدا المساجد الثلاثة المستثناة في أســـلوب الحصر.

ومن فضائله أيضًا أنَّه يُرجَى لمن صلَّى في رحابه مغفرة ذنوبه، فعن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال:" لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثًا: حُكْمًا يُصادِفُ حُكمه، ومُلكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده، وألَّا يأتيَ هذا المسجدَ أحدٌ لا يُريدُ إلَّا الصلاة فيه إلَّا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمُّه، فقال رسول الله ﷺ: أمَّا اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أُعطِيَ الثالثة" رواه النسائي[١]. والصلاة فيه أجرُها مُضاعَفٌ: عن ميمونة بنت سعد- رضي الله عنها- قالت: قلتُ: يا رسول الله؛ أفتِنا في بيت المقدس، قال:" أرض المحشر والمنشر، ائتوه فصلُّوا فيه، فإنَّ صلاةً فيه بألفِ صلاةٍ في غيره" رواه ابن ماجه[٢].

وكان من تعظيم موسى عليه السلام للأرض المقدَّسة وبيت المقدس أن سأل الله تبارك وتعالى عند الموت أن يُدنيه منها. روى البخاري أنَّ النبي ﷺ:" سألَ موسى اللهَ أن يُدنيَه من الأرض المقدَّسة رمية بحجر، فلو كنتُ ثَمَّ لأريتُكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر"[٣]. قال الإمام النووي: وأمَّا سؤاله- أي موسى عليه السلام- الإدناء من الأرض المقدَّسة فلشرفها[٤].

ومن أروع ما قيل عن القدس ومسجدها وأهلها؛ ما قاله الدكتور الشاعر عبد الرحمن العشماوي في قصيدته" يا قُبَّة المسجد الأقصى":

أقوى مِنَ الشَّمسِ في الآفاقِ إشراقُ دِيـنٌ حنيـفٌ يُرينـا الحـقَّ برَّاقـا
أقوى مِنَ الوَهمِ في عقلٍ بلا رشدٍ حـقٌّ يزيـدُ مـع الأيَّـامِ إحقاقـا

(١) هذا لفظ ابن ماجه، رواه في سُننه (١/٤٥٢) برقم (١٤٠٨) كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها. باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس. والنسائي في السنن الكبرى (١/ ٣٨٥) برقم (٧٧٤) كتاب المسجد. فضْل المسجد الأقصى والصلاة فيه. قريبًا من لفظ ابن ماجه. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سُنن ابن ماجه (٣/ ٤٠٨). صحيح وضعيف سُنن ابن ماجه، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية- المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسُّنَّة بالإسكندرية.

(٢) رواه ابن ماجه في سُننه (١/٤٥١) برقم (١٤٠٧) كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها. باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس. والحديث مُنكَرٌ كما قال الألباني في صحيح وضعيف سُنن ابن ماجه (٣/ ٤٠٧).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢/٩٠) برقم (١٣٣٩) كتاب الجنائز. باب مَن أحبَّ الدفن في الأرض المقدَّسة أو نحوها. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٤٢) برقم (٢٣٧٢) كتاب الفضائل. باب مِن فضائل موسى ﷺ.

(٤) شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٢٨). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.



أقــوى منَ الظـالمِ المقطـــوعِ دابـِرُهُ   شَعْبٌ تحمَّلَ في مولاهُ ما لاقَى
شَعْبٌ بأكنافِ بيتِ القُدسِ مسكَنُهُ   مـا زالَ في سـاحةِ الإقـدامِ سبَّاقا
إنِّي أُبَجِّـــلُ هـذا الشَّـعْـبَ أحمـلُـهُ   في القلبِ حُبًّا وإحساسًا وأشواقا
لاقى عـــدُوًّا بلا وعـــيٍّ ولا خُلُقٍ   فكـانَ أحسـنَ في الميـدانِ أخلاقـا
صـارتْ فلســـطينُ رَمزًا للإباءِ ومـا   زالــتْ تُواجِـهُ ضُــلَّالًا وفُسَّاقــا
في قلبها سـاحــةُ الأقصـــى وقُبَّتُهُ   وبيرقٌ للهُدى ما زالَ خـفَّــاقـا(١)

والخلاصة: أنَّ المسجد الأقصى مَسجِدٌ مُقدَّسٌ ومكانٌ مُبارَكٌ، وأنَّ أرضه ليست قضية دولة ولا حدود، وإنَّما قضية عقيدة، فهو ضاربٌ في جذور العقيدة، وصلته بها وثيقة، وعلى الأجيال الحالية والقادمة أن تعلم هذا جيدًا، مهما تعاقبت الأزمنة ودار فلك الزمان وتقادمت عليه الأيَّام.

---

(١) من قصيدة للشاعر د. عبد الرحمن العشماوي بعنوان" يا قُبَّة المسجد الأقصى". يا قُبَّة المسجد الأقصى- عبد الرحمن العشماوي – الديوان(aldiwan.net)

٩ ربيع الأول

أُحُدٌ.. جبلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه

لم تقف الدلائل والمعجزات النبويَّة مع الجمادات عند حدود النطق والكلام والحركة، بل امتدَّت لتشمل الحُبَّ والشوق، والمشاعر والأحاسيس، نعم؛ لقد سمع الجبل كلام النبي ﷺ وأطاعه، وأحبَّه واشتاق إليه، إنَّها دلائل ومعجزات مع الجمادات التي لا روح فيها، أعطاها الله لنبيِّه وحبيبه ﷺ، تأييدًا لدعوته، وإعلاءً لقدره، الأمر الذي ترك أثره في النفوس، ولفتَ انتباه أصحابه نحو دعوته التي جاء بها، وأثبت لهم أنَّها دعوة صادقة مُؤيَّدة من الله.

عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: خرجتُ مع رسول الله ﷺ إلى خيبر أخدمه، فلمَّا قدِم النبي ﷺ راجعًا وبدا له أُحُدٌ، قال:" هذا جبلٌ يُحِبُّنا" رواه البخاري[١]، وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ أُحُدًا جبلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه" رواه مسلم[٢].

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على حُبِّ وشوقِ الجماد للنبي ﷺ، فإذا كان عجيبًا أن يُحِبَّ النبيَّ ﷺ ما فيه روحٌ ممَّا لا يعقل، كالشجر الذي كان يعرفه ويُسلِّم عليه، وجذع النَّخلة الذي اشتاق إليه وبكى لفراقه؛ فالأعجب حقًّا أن يُحِبَّ النبيَّ ﷺ ما ليس فيه روحٌ ولا عقل، شيءٌ إن نظرتَ إليه ظنَّنتَ أنَّه جماد، لا يسمع ولا يرى، ولكنَّه في الحقيقة يسمع ويعقل، بل يشتاق ويُحِبُّ، إنَّه جبلُ أُحُدٍ الذي أحبَّ النبي ﷺ وسمع كلامه حين قال له:" اثبتْ أُحُد" رواه البخاري[٣]، فأطاع أمره فسكن وثبت. وقد رجَّح الإمام ابن حجر أنَّ حُبَّ النبي ﷺ لأُحُدٍ، وحُبَّ أُحُدٍ له هو على حقيقته، فقد قال في كتابه فتح الباري: الحُبُّ من الجانِبَينِ على حقيقته وظاهره، وقد خاطبه ﷺ مخاطبة مَن يعقل، فقال له لما اضطرب: اسكُنْ أُحُد[٤]، وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم: الصحيح المختار أنَّ معناه أنَّ أُحُدًا يُحِبُّنا حقيقة، جعل الله فيه تمييزًا يُحِبُّ به[٥].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٥/٤) برقم (٢٨٨٩) كتاب الجهاد والسِّيَر. باب فضْل الخدمة في الغزو. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٩٣) برقم (١٣٦٥) كتاب الحج. باب فضْل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٠٥/٩) برقم (٧٣٣٣) كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة. باب ما ذَكَرَ النبي ﷺ وحضَّ على اتفاق أهل العلم. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠١١) برقم (١٣٩٣) كتاب الحج. باب أُحُدٌ جبلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١١/٥) برقم (٣٦٨٦) كتاب المناقب. باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي رضي الله عنه.

(٤) يُنظَر: فتح الباري لابن حجر (٧/ ٣٧٨). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة- بيروت، ١٣٧٩ هـ، رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصحَّحه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلَّامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(٥) شرح النووي على مسلم (٩/ ١٣٩).



وأُحُدٌ: جبلٌ سُمِّي بذلك لتفرُّده عن الجبال، يقع في شمال المدينة المنوَّرة، وهو جبل مبارك كان النبي ﷺ يُحِبُّه، وجبل أُحُد عبارة عن جبل صخري، ولونه ذو صبغة حمراء، وطوله من الشرق إلى الغرب يبلغ ستَّة آلاف متر تقريبًا، وبه رؤوس كثيرة وهضبات مُتعدِّدة، وتوجد بجبل أحد المهاريس، وهي عبارة عن نقر طبيعية في الجبل لحفْظ المياه المنسابة من أعاليه.

هذا الجبل صعِده النبي ﷺ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان؛ الخلفاء الراشدون بعده، رضي الله عنهم جميعًا، فلمَّا صعِدوا إلى الجبل رجَف بهم، والسؤال: لِمَ رجفَ الجبلُ بهم؟

قال العلماء في تعليل ذلك : إنَّ الجبل رجف فرحًا بمَن رَقِيَه من الشُّرفاء، ولا ريب أنَّ النبي ﷺ أشرف الخَلْق، وأصحابه أشرف الناس بعد الأنبياء والمرسلين، فالجبل فرِح فرجف فسكَّنه النبي ﷺ بقدَمِه، وقال:" اثبُتْ أُحُد"، فإنَّما عليك نبيٌّ- يعني نفسه عليه الصلاة والسلام-، وصِدِّيقٌ- يقصد أبا بكر- وشهيدان[1]، وهذا من الغيب؛ لأنَّ عمر وعثمان آنذاك لم يُقتُلا؛ وإنَّما أخبر ﷺ أنَّهما شهيدان دلالةً على أنَّهما سيموتان شهيدَين، وقد وقع بعد ذلك كما أخبر عليه الصلاة والسلام.

وقد وقعتْ عند أحُدٍ غزوة عظيمة سطَّر القرآن أحداثها، وهي الغزوة التي تُعرَف في كتب السِّيَر بغزوة أُحُد، وقد وقعت بعد غزوة بَدْر، في السنة الثالثة، وكان جبل أُحُد عن يمين جيش النبي ﷺ، وجبل الرماة عن يساره، وفيها وقعت أحداثٌ عِظامٌ؛ منها: شجُّ رأسِه الشريف ﷺ، وكسْرُ رَباعيَتِه، وسَيلان الدم على وجنتيه، كما أنَّه قُتِل في تلك المعركة عمُّه حمزة، وهو من أحبِّ الناس إلى رسول الله ﷺ، قتَله وحشيٌّ غلامٌ لبعض بني أُميَّة.

كما وقع في تلك المعركة قتلٌ كثيرٌ للصحابة؛ قال الله عزَّ وجلَّ في القرآن: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾[2]، فقد قُتِل من أصحابه ﷺ يوم أُحُد سبعون، وكان المسلمون قد قَتلوا يوم بدر سبعين من المشركين، وأسَرُوا سبعين، ولعلَّ هذا من أقرب المعاني لقول الله جلَّ وعلا: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾[3].

وقد أمر النبي ﷺ الصحابة أن يَدفنوا الشهداء في أرض المعركة، وإلى اليوم ما تزال قبورهم باقيةً بجوار الجبل، ولما شعر النبي ﷺ بدنُوِّ أجَلِه وقُرْب رحيله؛ أتى قبور هؤلاء الشهداء الكرام فسلَّم عليهم، واستغفَر لهم، ودعا لهم كالمودِّع.

فسبحان الخالق العظيم، هذا الجبل يسمع ويُطيع لرسول الله ﷺ، بل ويُحِبُّ رسول الله ﷺ.

(١) تقدَّم تخريجه قريبًا.

(٢) آل عمران: ١٤٠.

(٣) آل عمران: ١٦٥.



لله في الآفــــــاقِ آيــــــاتٌ ... لعـلَّ أقلَّهـا هــو مـا إليـه هـداكَ
والكــونُ مشحــونٌ بأســرارٍ إذا ... حاولــتَ تفســيرًا لهــا أعيــاكَ
ولعلَّ ما في الكــــونِ مِــن آياتِه ... عـجــبٌ عُـجابٌ لو ترى عيناكَ[١]

والجبل بوجه عام عجيبٌ في شدَّة صلابته وقسوته؛ إلَّا أنَّه يتصدَّع من خشية الله، فقد تكون قلوب بني آدم أحيانًا أشدَّ منه قسوة، فالحجر والحجارة خلْقٌ من خلْق الله، أكثرَ اللهُ مِن ذكْرها على أنَّها آيةٌ عظيمةٌ تدلُّ على عظمة خالقها وبديع صنعه ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾[٢]، وهي وإن كانت قاسية إلَّا أنَّها أحيانًا ألينُ وأرقُّ من بعض بني الإنسان كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٣].

وعن ابن عبَّاس– رضي الله عنهما– قال: إنَّ الحجر ليقع على الأرض ولو اجتمع عليه فئامٌ من الناس ما استطاعوه، وإنَّه ليهبط من خشية الله[٤]، وقال مجاهد: كلُّ حجرٍ تفجَّر منه الماء أو تشقَّق عن ماء أو تردَّى من رأس جبل؛ فهو من خشية الله تعالى. نزل به القرآن[٥].

---

(١) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق (ص٢٢١). موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق (قصص تربوية من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين) المؤلف: ياسر عبد الرحمن. الناشر: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م.

(٢) الغاشية: ١٧ – ١٩.

(٣) البقرة: ٧٤.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١/ ٤٢٦). الدر المنثور في التفسير بالماثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفي: ٩١١هـ)، تحقيق : مركز هجر للبحوث، الناشر: دار هجر– مصر، سنة النشر: ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م.

(٥) ذكره عنه الواحدي كما في التفسير الوسيط (١/ ١٥٩). الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدَّمه وقرَّظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م.



بل أخبر الله جلَّ وعلا أنَّ القرآن لو أُنزِل على جبلٍ من جبال الدنيا لتشقَّق وتصدَّع خشيةً لله عزَّ وجلَّ قال تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

والخلاصة: أنَّنا أولى بحُبِّه ﷺ من جبل أُحُد، فإذا كان الجبلُ يُحِبُّ النبيَّ ﷺ حُبًّا على سبيل الحقيقة لا المجاز، والنبي ﷺ لم يُبْعَثْ إليه، وليس له عليه مِنَّة ظاهرة، كمِنَّته ﷺ على جميع الأُمَّة، فكيف يجب أن يكون حُبُّنا للنبي ﷺ؟! والذي شملتنا مِنَّتُه من كلِّ وجهٍ، كما أنَّ من السُّنَّة أن نُحِبَّ جبل أُحُدٍ لحُبِّ النبي ﷺ إيَّاه.

(١) الحشر: ٢١.



١٠ ربيع الأول

عجوة المدينة

نسمع أحيانًا عن بعض الشُّبهات التي يُثيرها البعض فيما يتعلَّق بما ورد في فضل التمر، فمنهم من ينفي حقيقة أنَّ التمر يفيد في الوقاية من السُّمِّ والسِّحر، ومنهم من يُشكِّك أو يتوقَّف في هذا الأمر، وكُلُّ هذه الشُّبهات لا يُلتفَت إليها ولا يُعتدُّ بها، وهي مردودةٌ على أصحابها؛ لأنَّ الحديث الذي بيَّن هذا الأمر صحيحٌ باتِّفاق العلماء.

ففي الحديث الذي رواه البخاري عن النبي ﷺ قال:" مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً؛ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ"[١].

وقد اختلف العلماء في بيان المراد من ذلك الحديث:

فذهب أكثر أهل العلم إلى اختصاص تمر المدينة، بل إلى اختصاص نوعٍ مُعيَّنٍ من تمر المدينة، وهو تمر العجوة في عالية المدينة.

ومِن أهل العلم مَن رأى أنَّ هذه الفضيلة تحصل بالتصبُّح بأيِّ نوعٍ من أنواع التمر، وأنَّ التنصيص على" العجوة" في الحديث؛ لا يلزم منه اختصاصه بالحكم.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: ويُرجى أن ينفع الله بذلك التمر كلِّه، لكن نصَّ على المدينة؛ لفضْلِ تمرها والخصوصية فيه، ويُرجى أنَّ الله ينفع ببقية التمر إذا تصبَّح بسبع تمرات، وقد يكون ﷺ ذَكَرَ ذلك لفضْلٍ خاصٍّ، ومَعلَمٍ خاصٍّ لتمر المدينة، ولا يمنع من وجود تلك الفائدة من أنواع التمر الأخرى التي أشار إليها ﷺ، وأظنَّه جاء في بعض الروايات:" من تمر" من غير قيد[٢].

وهو اختيار الشيخ ابن عثيمين أيضًا، فقد قال رحمه الله: كان شيخنا ابن سعدي رحمه الله يرى أنَّ ذلك على سبيل التمثيل، وأنَّ المقصود التمر مُطلقًا[٣].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٨٠) برقم (٥٤٤٥) كتاب الأطعمة. باب العجوة. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٦١٨) برقم (٢٠٤٧) كتاب الأشربة. باب فضْل تمر المدينة.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٨/ ١٠٩). مجموع فتاوى العلَّامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٥/ ١٢٣). الشرح الممتع على زاد المستقنع، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ – ١٤٢٨هـ.

وإنَّ في هذا الحديث لحِكمًا عظيمة، وفوائد كثيرة، فهي ثمرة من ثمار الجنة، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:" العجوة من الجنَّة، وفيها شفاء من السُّم" رواه أحمد والترمذي وغيرهما(١).

وهناك جانب إيماني في تناول سبع تمرات؛ لأنَّه تنفيذ لهذا التوجيه النبوي، قال النووي: في هذه الأحاديث فضيلة تمر المدينة وعجوتها، وفضيلة التصبُّح بسبع تمرات منه، وتخصيص عجوة المدينة دون غيرها، وعدد السبع من الأمور التي علمها الشارع ولا نعلم نحن حِكمتَها، فيجب الإيمان بها، واعتقاد فضْلها، والحِكمة فيها، وهذا كأعداد الصلوات، ونُصُب الزكاة وغيرها.

وهناك جانبٌ صحيٌّ؛ فقد أثبتَت الدراسات الطِّبِّيَّة ما جاء في هذا التوجيه النبوي، والعلمُ يتوافق مع الإيمان في كلِّ أحكام الشرع الحنيف، فهو مُليِّنٌ طبيعيٌّ ممتاز، يمنع الإمساكَ، ويُقوِّي العضلات، ويُعالج فقرَ الدم، ويُقوِّي السمعَ والبصر، ويُهدِّئ الأعصاب، كما أنَّه يحتوي على كمِّيَّةٍ عاليةٍ من الألياف الغذائية، والمعادن الضرورية لصِحَّة الجسم؛ مثل: البوتاسيوم والمغنيسيوم، وتُعادل ثلاث حبَّات تمر حصةَ فاكهة واحدة.

وفيه أيضًا جانب اجتماعي؛ وذلك أنَّ أهل المدينة المنوَّرة قد أكرموا النبيَّ ﷺ عندما هاجر إليهم، ومدينتهم قد اشتهرت بزراعة النخيل، فأراد أن يُكافئهم على إكرامهم بأحبِّ ما يملكون؛ فأرشد كُلَّ مسلم أن يتناول سبع تمرات من عجوتهم أو تمرهم، وهذا غاية الإكرام لهم.

وفيه كذلك ملمح اقتصادي، بتوجيه المؤمنين للشراء منها؛ لأنَّ تمرها له خواصُّ مميَّزة عن باقي أنواع التمور، وهو مبارك بدعاء النبي ﷺ، وفي أرض مباركة، يدلُّ على ذلك ما جاء عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّه قال: كان النَّاسُ إذا رأَوا أوَّل الثمر جاءوا به إلى النبي ﷺ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال:" اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَمِثْلِهِ مَعَهُ" رواه مسلم(٢).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٧٩/١٣) برقم (٨٠٠٢). والترمذي في جامعه (٤٠٠/٤) برقم (٢٠٦٦) أبواب الطِّبِّ. باب ما جاء في الكمأة والعجوة. والنسائي في السنن الكبرى (٢٣٣/٦) برقم (٦٦٣٦) كتاب الوليمة. الاختلاف على قتادة. وابن ماجه في سننه (١١٤٢/٢) برقم (٣٤٥٣) كتاب الطِّبِّ. باب الكمأة والعجوة. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٧٥٨). صحيح الجامع الصغير وزيادته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٠٠) برقم (١٣٧٣) كتاب الحج. باب فضْل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة.



وقال ﷺ أيضًا:" اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنْ الْبَرَكَةِ" رواه البخاري ومسلم(١).

والتمر من الأطعمة الطَّيِّبة التي امتنَّ الله بها على عباده، وأحلَّها لهم، وهو ثمر النَّخْل الذي ذكره الله في كتابه بأحسن الذِّكْر، فقال: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ﴾(٣)، أي ونخل ثمرُها ليّنٌ لطيفٌ، وقال تعالى: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾(٤)، أي فيها الأشجار التي تثمر الفواكه، ومنها النَّخل.

ولقد كان النبي ﷺ حريصًا على ربط بعض العبادات بالتمر لما له من فوائد كثيرة، وليس مجرد التصبُّح فقط، ومن هذه العبادات:

١- السحور: روى أبو داود عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال: نِعْمَ سَحُورُ الْمُؤْمِنِ التَّمْرُ(٥).

٢- الفطر للصائم: روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رُطَبَاتٌ فَتَمَرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَمَرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ(٦).

٣- قبل الخروج لصلاة عيد الفطر: روى البخاري عن أنس- رضي الله عنه- قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمَرَاتٍ، وَيَأْكُلُهُنَّ وِتْرًا(٧).

والتمر غذاءٌ كما روى مسلم من حديث عائشة- رضي الله عنها- أنَّ النبي ﷺ قال: يَا عَائِشَةُ؛ بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ، يَا عَائِشَةُ؛ بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ أَوْ جَاعَ أَهْلُهُ. قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا(٨).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/٢٣) برقم (١٨٨٥) كتاب فضائل المدينة. باب المدينة تنفي الخبث. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٩٤) برقم (١٣٦٩) كتاب الحج. باب فضْل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة.

(٢) ق: ١٠.

(٣) الشعراء: ١٤٨.

(٤) الرحمن: ١١.

(٥) رواه أبو داود في سننه (٢،٣٠٣) برقم (٢٣٤٥) كتاب الصيام. باب مَن سمَّى السحور الغداء. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٥/ ٣٤٥).

(٦) رواه أحمد في مسنده (٢٠/ ١١٠) برقم (١٢٦٧٦). والحديث صحَّحه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٤٥).

(٧) رواه البخاري في صحيحه (١٧/٢) برقم (٩٥٣) أبواب العيدين. باب الأكل يوم الفطر قبل الخروج.

(٨) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٦١٨) برقم (٢٠٤٦) كتاب الأشربة. باب في ادِّخار التمر ونحوه من الأقوات للعيال.

وقصَّ الله علينا من خبر مريم البتول عليها السلام؛ قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾[١]، وذكر الأطباء أنَّ الرُّطب- وعند عدمه التمر- من أنفع الأغذية للحامل، لا سِيَّما قبل الولادة وبعدها.

قال الربيع بن خثيم: ما للنُّفساء عندي خيرٌ من الرُّطب لهذه الآية، ولو علم الله شيئًا هو أفضل من الرُّطب للنُّفساء لأطعمه مريم[٢].

والخلاصة: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يترك خيرًا إلَّا ودلَّ أُمَّته عليه، ومن هذا الخير العظيم أنَّه ﷺ قد دلَّ أُمَّته على هذه الثمرة الطَّيِّبة عظيمة النفع، التي كُلَّما مرَّ الوقت اكتشف العلم الحديث لها من الفوائد ما يجعلنا نقول: حقًّا إنَّه رسول الله ﷺ الذي علَّمه ربُّه وما ينطق عن الهوى.

---

(١) مريم: ٢٥-٢٦.

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره= الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٧/ ٣٦٤)؛ تفسير القرطبي (١١/ ٩٦). الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى: ٤٢٧ هـ)، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، تحقيق: عدد من الباحثين (٢١) مُثبَتٌ أسماؤهم بالمقدِّمة (ص ١٥)، أصل الكتاب: رسائل جامعية (غالبها ماجستير) لعدد من الباحثين، الناشر: دار التفسير، جدة- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.



١١ ربيع الأول

الحبَّة السوداء

إنَّ المتأمِّل في أحوال أُمَّتِنا الإسلامية وما آلت إليه أمور المسلمين هذا الزمان يرى شدَّة ما أُصيبَ به المسلمون من أمراض وأوبئة؛ فذا محسود، وهذا مسحور، وذاك ممسوس إلَّا مَن رحم ربِّي؛ وما ذاك إلَّا بسبب الإعراض والبُعد عن كتاب الله تعالى وسُنَّة نبيّه ﷺ؛ اللَّذين فيهما الهُدى والشِّفاء والنُّور، فلو تسلَّح المسلم بالقرآن العظيم والأذكار الصحيحة الواردة في السُّنَّة النَّبوِيَّة؛ ما أُصيبَ أحدٌ بهذه الأمراض- بإذن الله تعالى-، ومِن فضْل الله تعالى على هذه الأُمَّة أن جعل شفاءها في كتاب ربِّها وسُنَّة نبيّه ﷺ.

ومِن فضْل الله تعالى أنَّه جعَل لكلِّ داءٍ دواءً، وجعَل في قُرآنه وسُنَّة رسوله ﷺ آياتٍ مِن الإعجاز التي تَشفي كُلَّ الأمراضِ؛ إنْ أخلص العبد النِّيَّةَ في توكُّله عليه؛ قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[١]، وفي الحديث:" ما أنْزل الله داءً إلَّا أنزل له شفاءً" أخرجه البخاري[٢].

قال عامر الشعبي: قيل لعائشة- رضي الله عنها-: يا أُمَّ المؤمنين؛ هذا القرآنُ تلقيتِه عن رسول الله ﷺ، وكذلك الحلال والحرام، وهذا الشِّعْر والنَّسب والأخبار سمعتِها من أبيك وغيره؛ فما بال الطِّبِّ؟ قالتْ: كانت الوفود تأتي رسولَ الله ﷺ فلا يزال الرجل يشكو عِلَّةً، فيسأله عن دوائها، فيُخبره بذلك، فحفظتُ ما كان يصفه لهم وفَهِمْتُه[٣].

ومن أنواع الطِّبِّ النَّبويِّ: العلاج بالحبَّة السوداء:

روى البخاري عَنْ خَالِدِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: خَرَجْنَا وَمَعَنَا غَالِبُ بْنُ أَبْجَرَ فَمَرِضَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَعَادَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ فَقَالَ لَنَا: عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْحُبَيْبَةِ السَّوْدَاءِ فَخُذُوا مِنْهَا خَمْسًا أَوْ سَبْعًا، فَاسْحَقُوهَا ثُمَّ اقْطُرُوهَا فِي أَنْفِهِ بِقَطَرَاتِ زَيْتٍ فِي هَذَا الْجَانِبِ وَفِي هَذَا الْجَانِبِ؛ فَإِنَّ عائشة- رضي الله عنها- سمعتِ النبيَّ ﷺ يقول: إنَّ هذه الحبَّة السوداء شفاءٌ مِن كُلِّ داء إلَّا مِن السَّام، قلتُ: وما السَّام؟ قال: الموت[٤].

---

(١) الإسراء: ٨٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٢٢) برقم (٥٦٧٨) كتاب الطِّبِّ. باب ما أنزل الله داء إلَّا أنزل له شفاء.

(٣) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ١٩٧). سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، المحقِّق: مجموعة من المحقِّقين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١٢٤/٧) برقم (٥٦٨٧) كتاب الطِّبِّ. باب الحبَّة السوداء.

قال ابن القيم في زاد المعاد: تُسمَّى الحبَّة السوداء بأسماء عديدة؛ منها: حبَّة البركة، الكمُّون الأسود، والكمُّون الهندي[١].

قوله:" الحبَّة السوداء"، وفي رواية مسلم:" إنَّ في الحبَّة السوداء شفاءً"[٢]. وفي رواية أحمد في المسند:" عليكم بهذه الحبَّة السوداء؛ فإنَّ فيها شفاءً من كُلِّ داءٍ"[٣]. وقد فسَّر الحبَّة السوداء ابن شهاب (بالشونيز)[٤]. قال ابن حجر: وتفسير الحبَّة السوداء بالشونيز لشهرة الشونيز عندهم إذ ذاك، وأمَّا الآن فالأمر بالعكس، والحبَّة السوداء أشهر عند أهل هذا العصر من الشونيز بكثير[٥].

قوله:" من كُلِّ داءٍ": هذا أوسع من أن تُستعمَلَ على وجهٍ واحدٍ، وكيفيَّة واحدة، بل تستعمل مُفرَدة أي وحدها بلا إضافة، ومُركَّبة بإضافتها إلى غيرها من المواد، ومسحوقة، وقد تُستعمل أكْلًا، وشُرْبًا، وسعوطًا، وضمادًا، وغير ذلك"[٦].

وقال أبو بكر بن العربي: العسل عند الأطباء أقرب إلى أن يكون دواءً من كُلِّ داءٍ من الحبَّة السوداء، ومع ذلك فإنَّ من الأمراض ما لو شرب صاحبُه العسلَ لتأذَّى به، فإن كان المراد بقوله في العسل:" فيه شفاءٌ للنَّاس" الأكثر الأغلب؛ فحمْلُ الحبَّة السوداء على ذلك أولى.

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة:" تكلَّم الناس في هذا الحديث وخصُّوا عمومه، وردُّوه إلى قول أهل الطِّبِّ والتجربة، ولا خفاء بغلط قائلِ هذا، لأنَّا إذا صدَّقنا أهل الطِّبِّ- ووافق علمهم غالبًا إنَّما هو على التجربة التي بناؤها على ظنٍّ غالبٍ- فتصديق مَن لا ينطق عن الهوى أولى، وكلامه أولى بالقبول من كلامهم"[٧].

---

(١) يُنظَر: زاد المعاد في هدْي خير العباد (٤/ ٢٧٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/١٢٤) برقم (٥٦٨٨) كتاب الطِّبِّ. باب الحبَّة السوداء. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٣٥) برقم (٢٢١٥) كتاب السلام. باب التداوي بالحبَّة السوداء.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٢/ ٢٣٣) برقم (٧٢٨٧). والحديث صحَّحه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٥١٩).

(٤) وقد جاء في حديثٍ عن النبي ﷺ تسميتها بذلك كما في مسند أحمد (٣٨/ ١٠٥) برقم (٢٢٩٩٩) ولفظه:" عليكم بهذه الحبَّة السوداء، وهي الشونيز، فإنَّ فيها شفاءً". وقال عنه الألباني:" إسناد صحيح على شرط مسلم" سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٥٢١)

(٥) فتْح الباري لابن حجر (١٠/ ١٤٥).

(٦) يُنظَر: فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٤٤).

(٧) يُنظَر: فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٤٥).



وروى الإمام الطبراني أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال للأنصار وهو يُعلِّمُهم ما يقولون في أعراسهم: أتيناكم أتيناكم، فحيُّونا نُحييكم، ولولا الذهب الأحمر لما حلَّتْ بواديكم، ولولا الحبَّة السوداء ما سمنتْ عذاريكم[١].

وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه-" أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إذا اشتكى تقمَّحَ (أي استفَّ) كفًّا من شونيز ويشرب عليه ماءً أو عسلًا" رواه الطبراني[٢].

فوائد الحبَّة السوداء:

إنَّ للحبَّة السوداء فوائدَ كثيرةً ذَكَرَها العلماء، فمن الأمراض التي تُعالِجها حبَّة البركة (الحبَّة السوداء):

تساقط الشَّعر- الصداع- الأرق- للقمل وبيضه- للدوخة وآلام الأذن- للقراع والثعلبة — للقوباء- لأمراض النساء والولادة- للأسنان وآلام اللِّوَز والحنجرة- لحَبِّ الشباب- للأمراض الجلدية- للثآليل- للبهاق والبرص- لسرعة التئام الكسور- للكدمات والرضوض- لمرض السكر- لارتفاع ضغط الدم- لإذابة الكوليسترول في الدم- للالتهابات الكلوية- لتفتيت الحصوة وطردها- لعُسْر التبوُّل- لمنع التبوُّل اللا إرادي- للاستسقاء- لالتهابات الكبد- للحُمَّى الشَّوكيَّة- للمرارة وحصوتها- للطحال- لأمراض الصدر والبرد- للقلب والدورة الدموية- للمغص المعوي- للإسهال- للقيء والغثيان- للغازات والتقلُّصات- للحموضة- للقولون- لأمراض العيون- للأميبا- للبلهارسيا- لطرد الديدان- للعقم- للبروستاتا- للقرحة- للسرطان- للضعف الجنسي- للضعف العام- لفتْح الشهية للطعام- لعلاج الخمول والكسل- للتنشيط الذهني وسرعة الحفظ- لعلاج الإيدز.

هذا وكيفيَّة استعمال الحبَّة السوداء موجودة في الكتب الخاصَّة بالأعشاب، والله تعالى هو الشافي.

ويذكر الدكتور حسام عرفة أنَّ أكثر من ١٥٠ بحثًا، تمَّ نشْرُها مُؤخَّرًا في الدوريَّات العلميَّة المختلفة عن فوائد استخدام حبَّة البركة، والتي تُؤَكِّد الفوائد العديدة التي ذكرها القدماء عن هذا النبات، وتأتي معظم هذه الأبحاث من أوربا وتحديدًا النمسا وألمانيا، والتي تأتي في مُقدِّمة الدول الداعية لإحياء طبِّ الأعشاب كطبٍّ بديلٍ، وهكذا ظهرتْ حبَّة البركة في مُستحضَرات طِبِّيَّة مُتنوِّعة

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٣١٥). المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقِّق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين- القاهرة. والحديث حسَّنه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٥١).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٤٠). والحديث قال عنه الألباني:" موضوع" كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السَّيِّئ في الأُمَّة (٩/ ١٩٢).



بين أقراص وكبسولات وأشربة وزيوت في العديد من الدول الأوربية، وكذلك الولايات المتحدة، هذا بالإضافة إلى بلدان العالم العربي والإسلامي.

والخلاصة: أنَّه علينا أن نطلب الدواء من الأطبَّاء، على ألَّا نُهمِل جانبًا مُهِمًّا جدًّا وهو الطِّبُّ النَّبوِيُّ الذي أرشد ووجَّه له رسول الله ﷺ، وأنَّ الطِّبَّ يشهد كُلَّ يومٍ تقدُّمًا واسعًا. ولعلَّ الغد يحمل لنا الكثير والكثير من الدلائل والبراهين على صدْق وفاعليَّة الطِّبِّ النَّبوِيِّ، لكن شتَّان ساعتها بين مَن يؤمن بها لأنَّها مِن عند رسول الله ﷺ، ومَن صدَّقها لأقوال الأطبَّاء.



١٢ ربيع الأول

لا تَسُبُّوا أصحابي

إنَّ خيرَ النَّاس وأفضلَهم بعد الأنبياء- عليهم السَّلام- هم صحابةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، الأخيارُ الذين اصطفاهم الله لصُحبة نبيِّه ﷺ، ونقْلِ دينه، وحفْظ شريعته، فكانوا أعمق النَّاس علمًا، وأبرَّهم قلوبًا، وأقلَّهم تكلُّفًا، وأزكاهم نفوسًا، وأصدقهم لهجةً، بذلوا النَّفس والنَّفيس في نصرة النَّبيّ الكريم ﷺ، وإقامة الدِّين، ورفع راية التَّوحيد، فضلُهم عظيمٌ، وخيرُهم كبيرٌ، وهم كما قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: " خَيرُ النَّاسِ قَرْني" رواه البخاري ومسلم[1].

وقد أثْنى الله عليْهم ووَعَدهم بالنَّعِيم المقيم، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2].

قال الشيخ السعدي: " ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ السابقون هم الذين سبقوا هذه الأُمَّة وبدروها إلى الإيمان والهجرة، والجهاد، وإقامة دين الله ﴿مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[3] {و} من ﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[4] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ بالاعتقادات والأقوال والأعمال، فهؤلاء هم الذين سلموا من الذَّمِّ، وحصل لهم نهاية المدح، وأفضل الكرامات من الله ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾، ورضاه تعالى أكبر من نعيم الجنَّة، ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الجارية التي تُساق إلى سَقْيِ الجنان، والحدائق الزاهية الزاهرة، والرياض الناضرة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ﴾ لا يبغون عنها حولًا، ولا يطلبون منها بدلًا، لأنَّهم مهما تمنَّوه أدركوه، ومهما أرادوه وجدوه ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي حصل لهم فيه كلُّ محبوبٍ للنفوس، ولذة للأرواح، ونعيم للقلوب، وشهوة للأبدان، واندفع عنهم كلُّ محذورٍ"[5].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/١٧١) برقم (٢٦٥٢) كتاب الشهادات. باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٦٣) برقم (٢٥٣٣) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب فضْل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

(٢) التوبة: ١٠٠.

(٣) الحشر: ٨.

(٤) الحشر: ٩.

(٥) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٣٥٠).



دَخَلَ عَائِذَ بْنَ عَمْرٍو- رضي الله عنه- وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ على عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ؛ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ"- أَي الَّذِي يكون عنيفًا فِي رعيه الْإِبِل فيحطمها، أَي يُلقِي بَعْضهَا على بعض لاستعجاله عليها، وَقلَّة رفقه بهَا، وَلَا يُمْهلهَا حَتَّى تستوفي رعيها-، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُخَالَةِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَالَ: وَهَلْ كَانَتْ لَهُمْ نُخَالَةٌ؟ إِنَّمَا كَانَتِ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ وَفِي غَيْرِهِمْ" رواه مسلم(١).

فالصحابة حُبُّهم والذَّبُّ عنهم ديانة؛ كما قال النبي ﷺ:" لَا يُحِبُّ الأَنْصَارَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ" متفق عليه(٢).

حُبُّ الصحابةِ كلِّهم لي مذهبٌ ... ومودةُ القُربى بها أتوسلُ
ولكلِّهم قدرٌ وفضْلٌ ساطعٌ ... لكنَّما الصِّدِّيقُ منهم أفضلُ(٣)

ووجود الصحابة وبقاؤهم أمانٌ للأُمَّة من الفتن والجهل، عَنْ أَبِي مُوسَى- رضي الله عنه- قَالَ: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ، قَالَ: فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ: أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ، قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ:" النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ" رواه مسلم(٤).

ولا يحلُّ لأحدٍ أن يسُبَّ أحدًا من الصَّحابة جميعًا، مَن شهد منهم الوقائع ومَن لم يشهد، المتقدِّم منهم والمتأخِّر، كلُّهم سواءٌ في عدمِ جوازِ التَّعرُّض لجنابهم بالسَّبِّ أو التَّنقُّص.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٦١) برقم (١٨٣٠) كتاب الإمارة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥/٣٢) برقم (٣٧٨٣) كتاب مناقب الأنصار. باب حُبِّ الأنصار. ومسلم في صحيحه (١/ ٨٥) برقم (٧٥) كتاب الإيمان. باب الدليل على أنَّ حُبَّ الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان وعلاماته.

(٣) القصيدة اللامية المنسوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢). القصيدة اللامية المنسوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية، المحقِّق: عبد الله بن محمد الشمراني.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٦١) برقم (٢٥٣١) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب بيان أنَّ بقاء النبي ﷺ أمانٌ أصحابه.



فالطَّعن في الصَّحابة- رضي الله عنهم- إنَّما هو طعنٌ في الله ورسوله ﷺ وشريعته؛ فيكون طعنًا في الله؛ لأنَّه طعنٌ في حِكمتِه واختيارِه؛ حيثُ اختار لأفضلِ خلْقِه ﷺ أسوأَ خلْقِه- تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا-؛ وطعنًا في النَّبي ﷺ؛ لأنَّهم أصحابُه، والمرءُ على دينِ خليلِه، والإنسان يُعرَف صلاحُه أو فسادُه بقرينِه، وطعنًا في الشَّريعة؛ لأنَّهم الواسطةُ بيننا وبين رسول الله ﷺ في نقْلِ الشَّريعة، وإذا كانوا بهذِه المثابةِ؛ فلا يُوثقُ بهذه الشَّريعة؛ لأنَّ الطَّعنَ في النَّاقلِ طعنٌ في المنقُولِ.

فعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" مَنْ سَبَّ أصْحَابي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالملائِكَةِ والنَّاسِ أجْمَعِين" أخرجه الطبراني(١).

وعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال رسول الله ﷺ:" لَا تَسُبُّوا أصْحابِي؛ فلوْ أنَّ أحَدَكُمْ أنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ ما بَلَغَ مُدَّ أحَدِهِمْ ولَا نصِيفَهُ" رواه البخاري(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ويُمسكون عمَّا شجر بين الصحابة، ويقولون إنَّ هذه الآثار المروية في مساوئهم؛ منها ما هو كَذِبٌ، ومنها ما قد زيد فيه ونقص، وغُيِّرَ عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون؛ إمَّا مُجتهدون مُصيبون، وإمَّا مُجتهدون مُخطئون، ثم قال: ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر عنهم إن صدر، حتَّى إنَّهم يُغفَر لهم من السيئات ما لا يُغفَر لمن بعدهم؛ لأنَّ لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ممَّا ليس لمن بعدهم(٣).

عن عبد الله بن مغفل المزني- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:" اللهَ اللهَ في أصحابي، لا تتَّخذوهم غرضًا بعدي، فمَن أحبَّهم فبحُبِّي أحبَّهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم،

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٤٢) برقم (١٢٧٠٩). والحديث حسَّنه الألباني بمجموع طرقه كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٥/ ٤٤٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥/٨) برقم (٣٦٧٣) كتاب أصحاب النبي ﷺ. باب قول النبي ﷺ:" لو كنتُ مُتَّخِذًا خليلًا". ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٦٧) برقم (٢٥٤١) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب تحريم سَبِّ الصحابة رضي الله عنهم.

(٣) العقيدة الواسطية (ص ١٢٠). العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السُّنَّة والجماعة، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقِّق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: أضواء السلف- الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م.

ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه" صحيح ابن حبان[(١)].

وجاء رجلٌ إلى عبد الله بن المبارك وسأله: أمعاوية أفضل أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لترابٌ في منخري معاوية مع رسول الله ﷺ خيرٌ وأفضل من عمر بن عبد العزيز[(٢)].

وجاء رجلٌ إلى الإمام أبي زرعة الرازي رحمه الله؛ فقال: يا أبا زرعة؛ أنا أبغض معاوية؛ قال: لِمَ؟ قال: لأنَّه قَاتَلَ عليًّا، فقال أبو زرعة: إنَّ ربَّ معاوية ربٌّ رحيمٌ، وخصمَ معاوية خصمٌ كريمٌ، فما دخولُك أنت بينهما؟!![(٣)]

وقال الإمام أحمد رحمه الله: إذا رأيتَ رجلًا يذكر أصحاب ﷺ بسوءٍ؛ فاتَّهِمْه على الإسلام[(٤)].

والخلاصة: أنَّه يجب على كلِّ مسلمٍ أن يعرف للصحابة قدرهم وفضْلهم، وأن يُجلَّهم ويتَّبع آثارهم، فقد كانوا على الهدى المستقيم، وأن يُمسِك عمَّا شجر بينهم، فهم مُجتهدون، للمجتهد المصيب منهم أجران، وللمخطئ منهم أجرٌ واحدٌ، وأن نُردِّد ما علَّمنا رب العالمين في قرآنه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[(٥)].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٤/١٦٩) برقم (٢٠٥٤٩)؛ والترمذي في جامعه (٥/٦٩٦) برقم (٣٨٦٢) أبواب المناقب. باب مَن سبَّ أصحاب النبي ﷺ؛ وابن حبَّان في صحيحه (١٦/ ٢٤٤) برقم (٧٢٥٦). والحديث ضعَّفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السَّيِّئ في الأُمَّة (٦/ ٤٤٣).

(٢) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١١/ ٤٤٩).

(٣) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١١/ ٤٢٧).

(٤) ذكره ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص ٢١٦). مناقب الإمام أحمد، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقِّق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٩هـ.

(٥) الحشر: ١٠.



١٣ ربيع الأول
أبو بكر الصِّدِّيق

كان" أبو بكر الصديق"- رضي الله عنه- هو أوَّل مَن آمَنَ مِن الرِّجال، وأوَّل المبشرين بالجنَّة، وأوَّل الخلفاء الراشدين بعد وفاة الرسول ﷺ، وكان ممَّن رافقوا النبى ﷺ منذ بدء الإسلام، ويُعتبَر الصَّدِيق المقرَّب له. وُلِدَ سنة ٥١ ق. هـ. (٥٧٣ م) بعد عام الفيل بحوالي ثلاث سنوات. كان سيِّدًا من سادة قريش وغنيًّا من كبار أثريائهم، وكان ممَّن رفضوا عبادة الأصنام فى الجاهليَّة، بل كان حنيفًا على ملَّة إبراهيم- عليه السلام-.

واسمه: عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، وينتهي نسبه إلى فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، ويلتقي في نسبه مع النبي ﷺ عند مرة بن كعب.

وأُمُّه سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم وهي بنت عمِّ أبيه، وتُكنَّى أَمَّ الخير.

كان أبو بكر- رضي الله عنه- يُسمَّى في الجاهليَّة" عبد الكعبة"؛ فسمَّاه النبي ﷺ عبد الله، ولقَّبه عتيقًا؛ لأنَّ النبي ﷺ قال له:" أنت عتيق الله من النَّار" رواه الترمذي(١). وقيل: لجمال وجهه، وقيل: لأنَّه لم يكن في نسبه شيءٌ يُعابُ به.

كما سُمِّي بالصِّدِّيق لتصديقه خبر الإسراء والمعراج.

نشأ أبو بكر- رضي الله عنه- في مكَّة، فلمَّا جاوز الصبا إلى الشباب عمل في التجارة، فكان بزَّازًا يبيع الثياب، واستطاع أن يُحقِّق نجاحًا كبيرًا في تجارته، فتزوَّج في بداية شبابه من قتيلة بنت عبد العُزَّى، فولدت له عبد الله وأسماء- رضي الله عنهما-، ثم تزوَّج بعد ذلك أُمَّ رومان بنت عامر بن عويمر، فأنجب منها عبد الرحمن وعائشة- رضي الله عنهما-.

كان- رضي الله عنه- رجلًا رَضِيَ الخُلُق، رقيق الطبع، رزينًا لا يغلبه الهوى، ولا تملكه الشهوة، يتميَّز برجاحة العقل وسداد الرأي، وكان لا يُشارِك قومه في عقائدهم وعاداتهم، فلم يشرب خمرًا قط في الجاهليَّة، وكان وجيهًا من وجهاء قريش ورؤسائها، عارفًا بالأنساب بل أعلم قريش بها، وقد كانت إليه الأشناق (الديات) في الجاهليَّة.

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٥/٦١٦) برقم (٣٦٧٩) أبواب المناقب. باب بدون ترجمة. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سُنن الترمذي (٨/ ١٧٩).



وهو أوَّل الرجال إسلامًا، وأفضل الأُمَّة على الإطلاق، وأمَّا فضْله فقال تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾[(١)]، وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[(٢)]، وقال: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[(٣)]، وقد حكى جماعة من المفسرين أنَّها نزلتْ في أبي بكر الصِّدِّيق- رضي الله عنه-.

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:" مَن أنفقَ زوجَينِ مِن شيءٍ مِن الأشياء في سبيل الله؛ دُعِيَ مِن أبواب الجنَّة: يا عبد الله؛ هذا خير، فمَن كان مِن أهل الصَّلاة دُعِيَ مِن باب الصَّلاة، ومَن كان مِن أهل الجهاد دُعِيَ مِن باب الجهاد، ومَن كان مِن أهل الصَّدقة دُعِيَ مِن باب الصَّدقة، ومَن كان مِن أهل الصِّيام دُعِيَ مِن باب الصِّيام وباب الرَّيَّان. فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يُدعَى مِن تلك الأبواب مِن ضرورةٍ. وقال: هل يُدعَى منها كُلِّها أحدٌ يا رسول الله؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر" رواه البخاري ومسلم[(٤)].

وقد كان أبو بكر- رضي الله عنه- أحبَّ الصحابةِ لقلب رسول الله ﷺ، فعن عمرو بن العاص- رضي الله عنه-" أنَّ النَّبيَّ ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيتُه فقلتُ: أيُّ النَّاسِ أحبُّ إليك؟ قال: عائشة، فقلتُ: مِن الرِّجال؟ فقال: أبوها. قلتُ: ثم مَن؟ قال: ثم عمر بن الخطاب، فعدَّ رجالًا" رواه البخاري ومسلم[(٥)].

كما كان أبو بكر- رضي الله عنه- سبَّاقًا إلى الخيرات، عن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال:" أمَرَنا رسولُ الله ﷺ أن نتصدَّق، ووافق ذلك عندي مالًا، فقلتُ: اليوم أسبقُ أبا بكرٍ إن سبقتُه يومًا. قال: فجئتُ بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيتَ لأهلك؟ قلتُ: مثلَه. وأتى أبو

---

(١) التوبة: ٤٠.

(٢) الزمر: ٣٣.

(٣) الليل: ١٧- ٢١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٥/٦) برقم (٣٦٦٦) كتاب أصحاب النبي ﷺ. باب قول النبي ﷺ:" لو كُنتُ مُتَّخِذًا خليلًا". خليلًا". ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١١) برقم (١٠٢٧) كتاب الزكاة. باب من جمع الصدقة وأعمال البر.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٥/٥) برقم (٣٦٦٢) كتاب أصحاب النبي ﷺ. باب قول النبي ﷺ:" لو كُنتُ مُتَّخِذًا خليلًا". ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٥٦) برقم (٢٣٨٤) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه.

بكر- رضي الله عنه- بكُلِّ ما عنده فقال: يا أبا بكر؛ ما أبقيتَ لأهلِك؟ قال: أبقيتُ لهم الله ورسوله. قلتُ: لا أسبقه إلى شيءٍ أبدًا" رواه أبو داود والترمذي(١).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:" مَن أصبح منكم اليوم صائمًا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: مَن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمَن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمَن عاد منكم اليوم مريضًا؟ قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرئٍ إلَّا دخل الجنَّة" رواه مسلم(٢).

ولقد كان أبو بكر- رضي الله عنه- أعلم الصحابة برسول الله ﷺ، عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ جلس على المنبر، فقال: إنَّ عبدًا خيَّره الله بين أن يُؤتيَه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده؛ فاختار ما عنده، فقال أبو بكر: فديناك يا رسول الله بآبائنا وأُمَّهاتنا، قال: فعجبنا، فقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ؛ يخبر رسول الله ﷺ عن عبدٍ خيَّره الله، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأُمَّهاتنا، قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر- رضي الله عنه- أعلمنا به، فقال النبي ﷺ:" إنَّ مِن أمَنِّ النَّاس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كُنتُ مُتَّخِذًا خليلًا لاتَّخذتُ أبا بكرٍ خليلًا، ولكن أُخوَّة الإسلام، لا تبقين في المسجد خوخة إلَّا خوخة أبي بكر" متفق عليه(٣).

وعنه يقول شاعرنا المفضال معالي الدكتور عبد الرحمن العشماوي:

قالوا: هو الصِّدِّيق، قلتُ: كفاهُ	ما يحفظ التاريخُ مِن ذِكراهُ
يكفيه" تصديقُ" النَّبيِّ، وأنَّهُ	في كُلِّ موقِفِ هِمَّةٍ زكَّاهُ
يكفي أبا بكر فخارًا أنَّهُ	في هجرةِ المختارِ قد آخاهُ
قطعَ الجبالَ الراسياتِ مُرافِقًا	لأعزِّ خلْقِ اللهِ حينَ دعاهُ

(١) رواه أبو داود في سُننه (٢/١٢٩) برقم (١٦٧٨) كتاب الزكاة. باب في الرُّخْصة في ذلك. والترمذي في جامعه (٥/٦١٤) برقم (٣٦٧٥) أبواب المناقب. باب بدون ترجمة. والحديث حسَّنه الألباني كما في صحيح وضعيف سُنن الترمذي (٨/ ١٧٥).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٥٧) برقم (١٠٢٨) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/٥٧) برقم (٣٩٠٤) كتاب مناقب الأنصار. باب هحرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٥٤) برقم (٢٣٨٢) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه.

وتعجَّبتْ منهُ الرمالُ وقد مشى تقفو خُطا الهادي البشيرِ خُطاهُ
تلميذُ مدرسـةِ النُّبوَّةِ والهُـدى خيرِ الأنامِ على التُّقى رَبَّـاهُ
يا رحلةَ الصِّدِّيقِ في دَرْبِ الهُدَى أحييتَ في قلبِ المحبِّ رِضاهُ[١]

والخلاصة: أنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيق- رضي الله عنه- من كبار الصحابة وأكثرهم فضْلًا، وأكثرهم قُرْبًا من النبي ﷺ؛ إذ كان ثاني اثنين في الغار، وفي الدعوة، وفي الخلافة، وحتى في قبره، وأعزَّ الله به الإسلام، وأيَّد به الدين، وحمى الله به حوزة الإسلام أيَّام المرتدِّين، فرضي الله عنه وأرضاه.

(١) من قصيدة للدكتور عبد الرحمن العشماوي بعنوان (أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه). أبو بكر الصِّدِّيق . رضي الله عنه . - عبد الرحمن العشماوي — الديوان (aldiwan.net)

١٤ ربيع الأول

عمر الفاروق

ثاني الخلفاء الراشدين، أمير المؤمنين، أبي حفص، الفاروق عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- المجاهد بالحق، الذي لا يخاف في الله لومة لائم، الذي أظهر الإسلام وفرَّق بين الحق والباطل، وبه سمَّاه النبي ﷺ الفاروق. وقال عنه:" أرحمُ أُمَّتي بأُمَّتي أبو بكر، وأشدُّهم في دينِ الله عمر" أخرجه أحمد والترمذي والنسائي(١).

وهو- رضي الله عنه- أحد المبشَّرين بالجنَّة، وأحد كبار علماء الصحابة وزُهَّادهم.

اسمه عمر بن الخطَّاب بن نُفيل بن عبد العزَّى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن مَعَدِّ بن عدنان، أبو حفص العدوي.

وأُمُّه: حنتمةُ بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ أخت أبي جهل.

وقد ذُكِرَ في سبب إسلامه: أنَّه كان شديدًا على مَن أسلم، فلمَّا علِم أنَّ أُخته فاطمةَ وزوجَها سعيد بن زيد أسلَما؛ جاء إليهما وعندهما خبَّاب يُقرِئهما القرآن، فاختبأ خبَّاب، فبطش بخَتَنِه وأقبلَتْ أُختُه لتكُفَّه عن زوجِها فشجَّها، فأدْماها، ثم ندم فقال: أعطِني هذه الصحيفة التي سمعتُكم تقرأون آنِفًا، فقالت له: إنَّك نَجَسٌ مُشرِكٌ، وإنَّه لا يمسُّها إلَّا الطاهر، فقام فاغتسل، ثم قرأ منها سطرًا واحدًا، وقال: ما أحسَنَ هذا الكلامَ، يُقال: إنَّها سورة طه، فلمَّا قال ذلك؛ خرَج إليه خبَّاب ووعَظه، وقال له: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ أمسِ يقول: اللَّهُمَّ أيِّدِ الإسلامَ بأحبِّ العُمَرَينِ إليكَ؛ عمرو بن هشام (أبو جهل) أو عُمرَ بن الخطَّاب، فاللهَ اللهَ يا عمر، فقال له: دُلَّني على محمَّدٍ، فقال له: هو في بيت عند الصفا مع نفرٍ من أصحابه، فجاء فاستأذن، فارتاع مَن هناك لاستئذانه، فقال حمزة- رضي الله عنه-: نأذَنُ له، فإن كان يريد خيرًا بذَلناه له، وإن كان يريد شرًّا قَتَلْنَاهُ بِسَيْفِهِ. فأخذه الرسول ﷺ من مجمع ردائه وجذبه جذبة شديدة وقال: ما جاء بك يا ابن الخطَّاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتَّى يُنزِل الله بك قارعة، فقال عمر: يا رسول الله؛ جئتُك لأومنَ بالله ورسوله وبما جاء من عند الله، فكبَّر رسولُ الله ﷺ وكبَّر المسلمون معه.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤٠٦/٢١) برقم (١٣٩٩٠)؛ والترمذي في جامعه (٦٦٤/٥) برقم (٣٧٩٠) أبواب المناقب. باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي عبيدة بن الجرَّاح؛ والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ٣٤٥) برقم (٨١٨٥). والحديث ممَّا تراجَعَ الألباني عن تصحيحه كما في تراجعات العلَّامة الألباني في التصحيح والتضعيف (ص ٢٩).



وقد كان عمرُ شديدًا في أمر الدِّين، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ:" وإنَّ مثلَكَ يا عمر كمثل نُوحٍ قَالَ: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[١]. ومثلك يا عمر مثل موسى قال: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾[٢]" أخرجه أحمد[٣].

ثانيه في الفضل بلا ارتيابِ   الصادعِ الناطقِ بالصوابِ
أعني به الشهم أبا حفصٍ عُمَرْ   مَن ظَاهرَ الدينَ القويمَ ونَصَرْ
الصارم المنكي على الكفَّارِ   وموسع الفتوح في الأمصارِ[٤]

قال عنه رسول الله ﷺ:" بَيْنا أنا نائِمٌ أُتِيتُ بقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ منه، ثُمَّ أعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، قالوا: فَما أوَّلْتَهُ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: العِلْمَ" رواه البخاري ومسلم[٥].

وفي رواية أخرى:" بَيْنا أنا نائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ، وعليهم قُمُصٌ، فَمِنْها ما يَبْلُغُ الثَّدْيَ، ومِنْها ما يَبْلُغُ دُونَ ذلكَ، وعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وعليه قَمِيصٌ اجْتَرَّهُ، قالوا: فَما أوَّلْتَهُ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: الدِّينَ" رواه البخاري ومسلم[٦].

ولقد بلغ مِن فضْله- رضي الله عنه- وشدَّته في دين الله أنَّ الشياطين كانت تخاف منه، فقد قال له رسول الله ﷺ:" إيه يا ابن الخطَّاب، والذي نفسي بيده؛ ما لقيَكَ الشيطانُ سالكًا فجًّا إلَّا سلك فجًّا غير فجِّك" رواه البخاري ومسلم[٧].

---

(١) نوح: ٢٦.

(٢) يونس: ٨٨.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٦/١٣٩) برقم (٣٦٣٢).

(٤) مِن أبياتٍ للشيخ حافظ حكمي في نظمه سلم الوصول، يُنظَر: معارج القبول بشرح سلم الوصول (١/ ٤٣). معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، المؤلف: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى : ١٣٧٧ هـ)، المحقِّق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر : دار ابن القيم— الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠ م.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/٢٧) برقم (٨٢) كتاب العلم. باب فضْل العلم. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٥٩) برقم (٢٣٩١) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل عمر رضي الله عنه.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٥/١٢) برقم (٣٦٩١) كتاب أصحاب النبي ﷺ. باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٥٩) برقم (٢٣٩٠) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل عمر رضي الله عنه.

(٧) رواه البخاري في صحيحه (٨/٢٣) برقم (٦٠٨٥) كتاب الأدب. باب التبسُّم والضحك. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٦٣) برقم (٢٣٩٦) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل عمر رضي الله عنه.



وفي رواية:" إِنّي لأنظر إلى شياطين الجنِّ والإنس قد فرُّوا من عمر" رواه الترمذي والنسائي(١).

قال رسول الله ﷺ:" لو كان نبيٌّ بعدي لكان عمر بن الخطَّاب" رواه الترمذي(٢).

وقال رسول الله ﷺ:" إن اللهَ جعَل الحقَّ على لسان عُمرَ وقلبِه" رواه الترمذي(٣).

وقال ﷺ:" قد كان يكونُ في الأُمم قبلكم مُحدَّثون؛ فإن يَكُنْ في أُمَّتي منهم أحدٌ؛ فإنَّ عُمرَ بن الخطَّاب منهم" رواه مسلم(٤).

وقد وافق ربَّه سبحانه وتعالى في أشياء كثيرة، وفي ذلك يقول- رضي الله عنه-:" وافقتُ ربي في ثلاثٍ: قلتُ: يا رسول الله؛ لو اتَّخذنا من مقام إبراهيم مُصلَّى! فنزلتْ ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ ﴾(٥)، وقلتُ: يا رسول الله؛ يدخل على نسائك البَرُّ والفاجرُ، فلو أمرتَهُنَّ يحتجبْنَ؛ فنزلتْ آية الحجاب ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ﴾(٦)، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة، فقلتُ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ﴾(٧)، فنزلت كذلك" رواه البخاري ومسلم(٨).

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٦٢١/٥) برقم (٣٦٩١) أبواب المناقب. باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (١٨٢/٨) برقم (٨٩٠٨) كتاب عِشْرة النِّساء. إباحة الرجل لزوجته النظر إلى اللعب. والحديث حسَّن إسناده الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ٨١٩).

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٦١٩/٥) برقم (٣٦٨٦) أبواب المناقب. باب بدون ترجمة. والحديث حسَّنه الألباني كما في صحيح وضعيف سُنن الترمذي (٨/ ١٨٦).

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٦١٧/٥) برقم (٣٦٨٢) أبواب المناقب. باب بدون ترجمة. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سُنن الترمذي (٨/ ١٨٢).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٦٤) برقم (٢٣٩٨) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل عمر رضي الله عنه.

(٥) البقرة: ١٢٥.

(٦) الأحزاب: ٥٣.

(٧) التحريم: ٥.

(٨) رواه البخاري في صحيحه (٨٩/١) برقم (٤٠٢) كتاب الصلاة. باب ما جاء في القبلة ومَن لم يرَ الإعادة. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٦٥) برقم (٢٣٩٩) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل عمر رضي الله عنه.

وعندما تولَّى الخلافة؛ كانت سيرتُه في رعيته وفي مال المسلمين تقوم على القاعدة التي بيَّنها- رضي الله عنه- بقوله: إنِّي أنزلتُ نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم من ماله، إن أيسرتُ استعففتُ، وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروف، فإن أيسرتُ قضيتُ(١).

وكان يبدأ بنفسه وأهل بيته فيما يأمر به أو ينهى عنه؛ يقول ابنه عبد الله: كان عمر إذا أراد أن ينهى الناس عن شيءٍ تقدَّم إلى أهله فقال: لا أعلمنَّ أحدًا وقع في شيءٍ ممَّا نهيتُ عنه إلَّا أضعفتُ عليه العقوبة.

وصدق فيه شاعرُ النيل حافظ إبراهيم حين قال:

يَا رافعًا رايةَ الشورى وحارسَها ... جــزاكَ ربُّـكَ خـيرًا عـن مُحبِّيهَـا
رأْيُ الجماعةِ لا تشقى البلادُ بهِ ... رغـمَ الخلافِ، ورأْيُ الفـردِ يُشـقيهَا
إن جَاعَ في شِدَّةٍ قومٌ تُشاركُهمْ ... في الجوعِ أو تنجلي عنهـم غواشِيهَا
جـُــوعُ الخليفةِ والدُّنيـــا بقبضتِه ... في الزُّهــــدِ منزلةٌ سبحـانَ مُوليهَا
يومَ اشتهتْ زوجُهُ الحَلْوَى فقال لها: ... مِـن أيـن لي ثمـنُ الحلوى فأَشْرِيهَا؟
مَا زادَ عــــن قُوتِنا فالمســـلمون به ... أَولى، فقُومِي لبيتِ المــــالِ رُدِّيهَا
كذاكَ أخلاقُه كانتْ وما عُهِـدتْ ... بعد النُّبــــوَّةِ أخـلاقٌ تُحـاكِيهَا(٢)

والخلاصة: أنَّ الذي يقرأ ما جُمِعَ مِن تاريخ عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه-، ويتدبَّر أعماله وأقواله ويشرحها؛ يراه كالمئْذنة العالية منتصبة في الجوِّ، والطباع الإنسانيَّة من دونه كالدُّور القائمة تستشرف إليه ولا تبلُغُه، فإن كانت فيها الحياة؛ فإنَّ فيه هو جلال الحياة.

---

(١) مسند الفاروق لابن كثير (١/ ٣٥٣). مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقِّق: عبد المعطي قلعجي، دار النشر: دار الوفاء- المنصورة، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ- ١٩٩١ م.

(٢) أبيات للشاعر حافظ إبراهيم من قصيدةٍ له بعنوان: يا رافعًا راية الشورى وحارسها- حافظ ابراهيم- الديوان (aldiwan.net).



١٥ ربيع الأول

ذو النُّورَين عثمان بن عفَّان

لقد منَّ الله على سيِّدنا محمَّدٍ ﷺ بالصحابة الكرام الذين ناصروه في أوقات الشِّدَّة والعُسرة، ومن هؤلاء الصحابة عثمان بن عفَّان- رضي الله عنه-، فهو من السابقين الأوَّلين، وأوَّل المهاجرين، وأحد العشرة المبشَّرين بالجنَّة.

هو عثمان بن عفَّان بن أبي العاص بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، حيث يلتقي مع النبي ﷺ عند جدِّه عبد مناف، وأُمُّه هي أروى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أيضًا، وأُمُّها البيضاء أُمُّ حكيم بنت عبد المطَّلب عمَّة رسول الله ﷺ، وُلِد بعد عام الفيل بِستِّ سنوات، ونشأ في مدينة الطائف والتي تُعتبَر مُنتجَعًا لأثرياء مكَّة لكثرة مائها وتنوُّع فاكهتها، فعاش في صباه وشبابه حياة موسرة، فقد كانت أسرته ذات نسب وجاه، ولها حظٌّ من مقاليد الزعامة والسلطان على العرب.

كنيته أبو عبد الله وأبو عمرو، ولُقِّب بذي النُّورَينِ، وهو ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد السِّتَّة الذين استخلفهم عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- قبل موته.

إسلامه: بعد أن أسلم سيِّدُنا أبو بكر الصِّدِّيق- رضى الله عنه- بدأ القيام بالدعوة إلى الإسلام لكلِّ مَن كان يجلس معه في مجالسه ومَن يثق به مِن الرجال، وكان سيِّدُنا عثمان بن عفَّان- رضى الله عنه- في الرابعة والثلاثين من عمره حين دعاه سيِّدُنا أبو بكر الصِّدِّيق- رضى الله عنه- إلى الإسلام. وقد استجاب لدعوته كُلٌّ مِن: عثمان بن عفَّان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام- رضي الله عنهم جميعًا- وغيرهم، وقد ذهبوا إلى رسول الله ﷺ، وتلا عليهم القرآن الكريم، وعرض عليهم الإسلام فآمنوا به، وقد كان عثمان بن عفَّان- رضي الله عنه- رابع الرجال الذين آمنوا بالإسلام. وله الكثير من الأعمال التي قام بها في سبيل الله، منها أنَّه أوَّل مَن هاجر إلى الحبشة مع زوجته، وتجهيزه- رضي الله عنه- جيش العُسْرة في غزوة تبوك، كما قام بتوسيع مسجد النبي ﷺ، وكذا شراؤه لبئر رومة وجعلها وقفًا للمسلمين.

ومن مناقبه العديدة؛ كتابته للوحي بين يدي رسول الله ﷺ وحفْظه لكتاب الله، فقد كان من بين الذين جمعوا القرآن حفْظًا على عهد رسول الله ﷺ.



وأيضًا روايته للحديث عن رسول الله ﷺ وعن أبي بكر وعمر- رضي الله عنهما-، وقد حدَّث عنه جمعٌ كبيرٌ من الصحابة والتابعين، وأبناؤه ومواليه، وروى أئمة الحديث لعثمان- رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ مئة وستَّة وأربعين حديثًا.

كما كان مِن أعلم الناس بكتاب الله وأقرئهم له، وأكثرهم معرفة بسُنَّة النبي ﷺ وأحسنهم اجتهادًا في الأحكام، وكان يُفتي الناس في عهد رسول الله ﷺ وفي زمن أبي بكر وعمر- رضي الله عنهما-، واجتهد وقت خلافته في كثيرٍ من المسائل.

وقد جمع بين العلم والعمل، والصيام والتهجُّد، والإنفاق والجهاد في سبيل الله، وصلة الأرحام، فكان يُقيم الليل بركعةٍ واحدةٍ يختم فيها القرآن الكريم كاملًا، وكان يصوم الدهر، وحَجَّ اثنتي عشرة حجَّة.

وكان- رضي الله عنه- من أشد الناس تواضعًا؛ فكان ينام في المسجد وهو خليفة، ورداؤه تحت رأسه، ويقوم وأثر الحصباء في جنبه، وكان يجرُّ بغلته وعليها غلامه نائل، وكان يُطعِم الناس طعام الإمارة، ويأكل في بيته الخَلَّ والزيت[1].

بعد مبايعته- رضي الله عنه- بالخلافة؛ بدأ إدارة شؤون الدولة، واتَّخذ من الصحابة- رضوان الله عليهم- أعوانًا يساعدونه على ذلك؛ وحقَّق العديد من الإنجازات خلال فترة خلافته، نستعرض منها ما يلي:

١- في مجال القضاء: كان ينظر في الخصومات بنفسه، ويستشير الصحابة- رضوان الله عليهم- فيما يحكم به، ومن مآثره اتخاذه دارًا للقضاء. كما أقرَّ الولاة الذين قد تمَّ تعيينهم من قِبل عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- في ولاياتهم عامًا كاملًا، بعد ذلك أبقى البعض وعزل آخرين.

٢- في الشؤون الإدارية: قام بضمِّ بعض الولايات إلى بعضها لما يراه في مصلحة المسلمين، فقد ضمَّ البحرين إلى البصرة، وضمَّ بعض ولايات الشام إلى بعضها. وكان دائم النصح لولاته بالعدل والرحمة وإعطاء الحقوق للمسلمين ومطالبتهم بما عليهم من واجبات.

---

(١) يُنظَر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٠٣٧)؛ الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ١٠٢). الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقِّق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م. الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (٧٧٣- ٨٥٢ هـ)، تحقيق: مركز هجر للبحوث، الناشر: دار هجر.



٣- في الشؤون المالية: كان عهده عهد رخاء على المسلمين؛ من خلال الأُسُس العامَّة التالية لسياسته المالية: تطبيق سياسة مالية عامَّة إسلامية، وعدم إخلال الجباية بالرعاية، وأخْذ ما على المسلمين بالحقِّ لبيت مال المسلمين، وإعطاء المسلمين ما لهم من بيت مال المسلمين، وأخْذ ما على أهل الذِّمَّة لبيت مال المسلمين بالحقِّ وإعطاؤهم ما لهم وعدم ظلمهم، وتخلُّق عُمَّال الخراج بالأمانة والوفاء. وتفادي أيَّة انحرافات ماليَّة يُسفر عنها تكامُل النِّعم لدى العامَّة. وكُلُّ هذه السياسات تُدرَّس اليوم في أرقى جامعات العالم، ممَّا يدلُّ على حنكة عثمان بن عفَّان- رضي الله عنه-، ودرايته بالأمور السياسية والاقتصادية بالفطرة.

وكانت خلافته مليئة بالإنجازات منها: الاعتناء بالقرآن الكريم، ونسْخُه إلى عِدَّة نسخ، وإرسالها إلى مختلف الأمصار، والعناية بالمساجد، فقد قام بتوسعة المسجد الحرام والمسجد النبوي. كما أنشأ أوَّل أسطولٍ بحريٍّ للمسلمين. وفتَحَ اللهُ على يديه العديد من البلدان؛ مثل: أرمينيا، وقبرص، وطرابلس، وأجزاء من إفريقيا.

تولَّى عثمان بن عفَّان- رضي الله عنه- الخلافة لمدَّة اثنتي عشرة سنة، وقد بدأت الفتنة في النصف الثاني من خلافته، وهذه الفتنة هي التي أدَّت إلى مقتله واستشهاده وهو يقرأ في المصحف في داره، وكان ذلك يوم الجمعة الموافق الثامن عشر من شهر ذي الحجَّة سنة خمسة وثلاثين هجريًّا. بعد أن حوصر أربعين يومًا على يد كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي وآخرين، ودُفِن- رضي الله عنه- قُرب البقيع.

والخلاصة: من ذا الذي يُضاهي عثمان بن عفَّان- رضي الله عنه- شرفًا وفضلًا، فما علمنا أحدًا تزوَّج بنتَيْ نبيٍّ غيره. فقد تزوَّج رقية بنت رسول الله ﷺ فلما ماتتْ تزوَّج أختها أُمَّ كلثوم ، لذا لُقِّب بذي النُّورَينِ. وكانت الملائكة تستحيي منه، فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ مُضَّطجِعًا في بيته كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، ثم عمر، وهو على تلك الحال فتحدَّثا، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ وسوَّى ثيابه، فدخل فتحدَّث، فلما خرج قلتُ: يا رسول الله؛ دخل أبو بكر فلم تجلس له، ثم دخل عمر فلم تهش له، ثم دخل عثمان فجلستَ وسوَّيتَ ثيابك، قال:" ألا أستحي مِن رجلٍ تستحي منه الملائكة؟" رواه مسلم[١].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٦٦) برقم (٢٤٠١) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل عثمان بن عفَّان رضي الله عنه.



١٦ ربيع الأول

أبو تراب عليٌّ بن أبي طالب

عليٌّ بن أبي طالب- رضي الله عنه- رابع الخُلفاء الراشدين، ومن السابقين الأوَّلين، ومن العشرة المبشَّرين بالجنَّة، وأوَّل مَن أسلم من الصِّبيان، وهو زوج فاطمة سيِّدة نساء العالمين، وبنت رسول الله ﷺ، وأبو السِّبْطَين الكريمَين الحَسن والحُسَين، سيِّدَيْ شباب أهل الجنَّة.

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطَّلب بن هاشم بن عبد مناف؛ ابن عمِّ رسول الله ﷺ، له في الإسلام السابقة العظيمة، والمآثر الجليلة، وُلِد قبل البعثة بعشر سنين، وتربَّى في بيت النُّبوَّة، فكان أوَّل مَن أسلم مِن الصبيان، أسلم وعمره عشر سنين.

ولما هاجر النبيُّ ﷺ من مكَّة إلى المدينة أمر عليًّا- رضي الله عنه- أن يبيت على فراشه، وأجَّله ثلاثة أيَّام ليُؤدِّي الأمانات التي كانت عند النبيِّ ﷺ إلى أصحابها، ثم يلحق به إلى المدينة، فهاجر من مكة إلى المدينة المنوَّرة ماشيًا.

قال له النبي ﷺ:" أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي" متفق عليه[(١)].

وقال له أيضًا:" لا يُحبُّكَ إلَّا مُؤمِنٌ ولا يبغضك إلَّا منافقٌ" رواه مسلم[(٢)].

قال عليٌّ- رضي الله عنه-:" واللهِ إنَّه مما عهد إليَّ رسولُ الله ﷺ أنَّه لا يُبغضُني إلَّا منافقٌ، ولا يُحبُّني إلَّا مؤمنٌ" أخرجه أحمد[(٣)].

وصفه أهل السِّيَر بأنَّه كان أسمر اللون، كثيف شعر اللحية، ربعة من الرجال، ضخم البطن، حسن الوجه، إلى القصر أقرب، ويُكنَّى أبا الحسن أو أبا تراب. وقد شهد المشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ عدا غزوة تبوك.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/١٩) برقم (٣٧٠٦) كتاب أصحاب النبي ﷺ. باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٠) برقم (٢٤٠٤) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٨٦) برقم (٢٣٩٩) كتاب الإيمان. باب الدليل على أنَّ حُبَّ الأنصار وعليٍّ رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته. ولفظه: والذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة إنَّه لعهدُ النَّبيِّ الأُمِّيِّ ﷺ إليَّ: «أن لا يُحِبَّني إلَّا مُؤمنٌ، ولا يبغضني إلَّا مُنافقٌ».

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٧١) برقم (٦٤٢).



فضائله جمَّة لا تُحصى، كان- رضي الله عنه وأرضاه- غزير العلم، زاهدًا ورعًا شجاعًا، وقد ورد عن الإمام أحمد رحمه الله أنَّه قال: لم يُنقَلْ لأحدٍ مِن الصحابة من الفضائل ما نُقِلَ لعلي- رضي الله عنه-(١).

أخرج البخاري عن البراء بن عازب- رضي الله عنه-: أنَّ النبي ﷺ قال لعليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه-:" أنتَ مِنِّي وأنا مِنكَ "(٢).

ولقد سمَّاه النبيُّ ﷺ أبَا تراب، فقد جاء رسولُ الله ﷺ بيتَ فاطمة- رضي الله عنها-، فلم يجدْ عليًّا في البيت، فقال: أين ابنُ عمِّك؟ فقالت: كان بيني وبينه شيءٌ فغاضبني، فخرج فلم يَقِلْ عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان: انظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسولَ الله؛ هو في المسجد راقدٌ، فجاءه رسول الله ﷺ وهو مُضطجِعٌ، قد سقط رداؤُه عن شِقِّه، فأصابه ترابٌ، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه، ويقول:" قُمْ أبا التراب، قُمْ أبا التراب" أخرجه البخاري ومسلم(٣).

قال سهل بن سعد- رضي الله عنه-:" مَا كان لِعَلِيٍّ اسمٌ أَحَبَّ إليه من أبي تراب، وإنْ كَانَ لَيَفْرحُ به إذا دُعِيَ به، وَمَا سماهُ" أبو تراب" إلَّا النَّبِيُّ ﷺ" متفق عليه(٤).

اشتهر- رضي الله عنه- بالفروسية والشجاعة والإقدام، وكان اللواء بيده- رضي الله عنه- في أكثر المشاهد، منها يوم خيبر؛ حيث قال النبي ﷺ:" لَأُعْطِيَنَّ هذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ علَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَه، ويُحِبُّهُ اللَّهُ ورَسولُهُ، قالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ: أيُّهُمْ يُعْطَاهَا؟ فَلَمَّا أصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا علَى رسول الله ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أنْ يُعْطَاهَا، فَقالَ: أيْنَ عَلِيُّ

---

(١) يُنظَر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص٢٢٠). وهذه الرواية قال عنها شيخ الإسلام:" وأحمد بن حنبل لم يقل: إنَّه صح لعلي من الفضائل ما لم يصح لغيره، بل أحمد أجَلُّ من أن يقول مثل هذا الكذب، بل نقل عنه أنَّه قال: روي له ما لم يرو لغيره، مع أنَّ في نقل هذا عن أحمد كلامًا ليس هذا موضعه". منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٧/ ٣٧٤). منهاج السُّنَّة النَّبويَّة في نقض كلام الشيعة القدريَّة، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقِّق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٨٤/٣) برقم (٢٦٩٩) كتاب الصلح. باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان، وفلان بن فلان، وإن لم ينسبْه إلى قبيلته أو نسبه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٩٦/١) برقم (٤٤١) كتاب الصلاة. باب نوم الرجال في المسجد. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٤) برقم (٢٤٠٩) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٦٣/٨) برقم (٦٢٨٠) كتاب الاستئذان. باب القائلة في المسجد. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٤) برقم (٢٤٠٩) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

بنُ أَبِي طَالِبٍ؟ فقِيلَ: هو- يا رَسولَ اللَّهِ- يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فأرْسَلُوا إلَيْهِ، فَأُتِيَ به فَبَصَقَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ في عَيْنَيْهِ ودَعَا له، فَبَرَأَ حتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ به وجَعٌ، فأعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقالَ عَلِيٌّ: يا رَسولَ اللَّهِ؛ أُقَاتِلُهُمْ حتَّى يَكونُوا مِثْلَنَا؟ فَقالَ: انْفُذْ علَى رِسْلِكَ حتَّى تَنْزِلَ بسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى الإسْلَامِ، وأَخْبِرْهُمْ بما يَجِبُ عليهم مِن حَقِّ اللَّهِ فِيهِ؛ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بكَ رَجُلًا واحِدًا؛ خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ" رواه البخاري(١).

ولذا قال عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه-:" ما أحببتُ الإمارة إلَّا يومئذ" رواه مسلم(٢).

وكان- رضي الله عنه- من أزهد الناس، فقد كان يقبض على لحيته ويبكي بُكاءَ الخاشع الحزين، وكان يقول:" إنَّ الآخرة قد ارتحلَتْ مُقبِلة، وإنَّ الدنيا قد ارتحلتْ مُدبِرةً، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإنَّ اليوم عملٌ ولا حسابٌ، وغدًا حسابٌ ولا عملٌ" رواه البخاري(٣).

وكان- رضي الله عنه- لا يملك مِن متاع الدنيا إلَّا النَّذر اليسير، تمضى عليه الأيَّام والليالي لا يجد طعامًا يأكله، يصفُ الحسن بن عليّ أباه عليًّا- رضي الله عنهما- بعد مقتله فيقول:" ما تَرَكَ مِن صفراء ولا بيضاء، إلَّا سبعمائة درهم من عطائه، كان يرصدها لخادم لأهله" رواه أحمد(٤).

ومن أقواله العظيمة أنَّه كان يقول: ليس الخير أن يكثُرَ مالُك وولدُك، ولكن الخير أن يكثُر علمُك، ويعظم حلمُك، وأن تُباهِي الناس بعبادة ربِّك، فإنْ أحسنتَ حمدتَ الله، وإنْ أسأتَ استغفرتَ الله(٥).

وقد كان علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- ذا ذكاءٍ لماح، وعبقرية فذَّة، وبديهةٍ حاضرة، يَنظرُ في وجه المرءِ فيقرأ فيه مخبوء نفسه، ويسمع الكلام فيشمُّ منه رائحة صدْقِه أو كذبِه، ويأتيه السائل المتِعنِّت، فلا يجد من عليٍّ إلَّا الحُجَّة الدامغة والجواب الشافي.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٣٤/٥) برقم (٤٢١٠) كتاب المغازي. باب غزوة خيبر. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٢) برقم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧١) برقم (٢٤٠٥) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨٩/٨) تعليقًا في كتاب الرقاق. باب في الأمل وطوله.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٢٤٧) برقم (١٧٢٠).

(٥) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٧٥). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: مطبعة السعادة- بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

جاءه رجلٌ فقال له: ما بال خلافة أبي بكر وعمر كانت صافية وخلافتك أنت وعثمان مُتكدِّرة! فقال: إنَّ أبا بكر وعمر كنتُ أنا وعثمان من أعوانهما، وكنتَ أنتَ وأمثالك من أعواني وأعوان عثمان(١).

وجاءه رجلٌ من يهود فقال له: ما أتى عليكم بعد نبيكم إلَّا نيِّفٌ وعشرون سنة حتَّى ضرب بعضُكم بعضًا بالسيف، فقال- رضي الله عنه-: فأنتم ما جفَّتْ أقدامُكم من البحر حتَّى قُلتُم: يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة(٢).

وتُوفِّي عام ٤٠ هجريًا على يد عبد الرحمن بن ملجم عندما ضربه بسيفٍ مسمومٍ.

قُلْ لابنِ ملجمَ والأقدارُ غالبةٌ ... هدمتْ للدِّينِ والإسلامِ أركانَا
قتلتَ أفضلَ مَن يمشي على قدمٍ ... وأوَّلَ النَّاسِ إسلامًا وإيمانَا
وأعلمَ الناسِ بالقُرآنِ ثم بما ... سَنَّ الرَّسولُ لنا شرعًا وتبيانَا
صهرَ النَّبيِّ ومولاهُ وناصِرَهُ ... أضحتْ مناقبُهُ نُورًا وبُرهانَا
وكانَ منه على رغمِ الحَسودِ لهُ ... مكانَ هارونَ مِن موسى بنِ عِمرانَا(٣)

والخلاصة: أنَّ جيل الصحابة جيلٌ عظيمٌ، ومن هؤلاء العظماء علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- وهو من الذين لهم قدمُ صدْقٍ، وكان من أهل السبق إلى الإسلام وتربَّى في حجر رسول الله ﷺ. فرضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) يُنظَر: شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب (١/ ٢٢٦). شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حقَّقه: محمود الأرناؤوط، خرَّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

(٢) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٧٢٥). فضائل الصحابة، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقِّق: د. وصي الله محمد عبَّاس، الناشر: مؤسسة الرسالة– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م.

(٣) الأبيات لبكر بن حمَّاد في رثاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه. يُنظَر: الحماسة المغربيَّة (٢/ ٧٩٥). (الحماسة المغربيَّة) مُختصَر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، المؤلف: أبو العبَّاس أحمد بن عبد السلام الجرَّاوي التادلي (المتوفى: ٦٠٩هـ)، المحقِّق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩١م.



١٧ ربيع الأول

أمين الأُمَّة (أبو عُبيدة بن الجرَّاح)

هو صحابي جليل، وأحد العشرة المبشَّرين بالجنَّة، أسلم مُبكِّرًا على يد أبي بكر الصِّدِّيق-رضي الله عنهما-، كان ممَّن هاجر إلى الحبشة، وصبر على أذى قريش.

هو أبو عُبيدة عامر بن عبد الله بن الجرَّاح الفهري القرشي- رضي الله عنه-، مشهور بكنيته وبالنسبة إلى جدِّه الجرَّاح، وأُمُّه أميمة بنت غنم، وُلِدَ سنة ٤٠ قبل الهجرة، ٥٨٤ م. وكان رجلًا نَحِيفًا مَعْرُوقَ الوجه، خَفِيفَ اللِّحْيَةِ، طُوَالًا.

لم تذكر المصادر التاريخيَّة شيئًا كثيرًا عن حياة أبي عُبيدة- رضي الله عنه- قبل الإسلام أو عن أُسرته برغم كونه قُرشيًّا، وذلك يُؤكِّد أنَّ حياة ذلك الصحابي الحقيقيَّة؛ بدأتْ مع إسلامه؛ فقد سارع- رضي الله عنه- إلى الإسلام في أيَّامه الأولى ليكون من السابقين الأوَّلين إلى الإسلام، فقد أسلم في اليوم التالي لإسلام أبي بكر- رضي الله عنه-، وكان إسلامه على يدي الصِّدِّيق نفسه، فمضى به وبعبد الرحمن بن عوف وبعثمان بن مظعون وبالأرقم بن أبي الأرقم- رضي الله عنهم- إلى النبي ﷺ، فأعلنوا إسلامهم بين يديه.

هاجر الهجرتين وشهد بدرًا وما بعدها، وثبت يوم أُحُد مع رسول الله ﷺ حين انهزم الناس، وهو الذي انتزع حلقتَي المغفر من وجه رسول الله ﷺ فسقطتْ ثنيتاه بسبب ذلك. يقول أبو بكر الصِّدِّيق- رضي الله عنه-: لما كان يوم أُحُد؛ ورُمِي رسول الله ﷺ حتَّى دخلتْ في وجنته حلقتان من المغفر، أقبلتُ أسعى إلى رسول الله ﷺ، وإنسانٌ قد أقبل من قِبَلِ المشرق يطير طيرانًا، فقلتُ: اللَّهُمَّ اجعلْه طاعة، حتَّى إذا توافينا إلى رسول الله ﷺ إذا هو أبو عُبيدة بن الجرَّاح قد سبقني، فقال: أسألك بالله يا أبا بكر أن تتركني فأنزعها من وجه رسول الله ﷺ فتركتُه، فأخذ أبو عُبيدة بثنيته إحدى حلقتَي المغفر، فنزعها وسقط على الأرض وسقطت ثنيته معه، ثم أخذ الحلقة الأخرى بثنيته الأخرى فسقطت، فكان أبو عُبيدة في الناس أثرم[1]، وكانت هذه الثرمة جعلتْ من ثغره أحسن ثغر.

وشهد له النبي ﷺ بالجنَّة: فعن عبد الرحمن بن عوف- رضي الله عنه- قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٤١١). الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، المحقِّق: إحسان عبَّاس، الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م.



الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ" رواه الترمذي[١].

كما لُقِّب بأمين الأُمَّة، لقَّبه بذلك رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فعن أَنَس بْن مَالِكٍ- رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ" متفق عليه[٢].

ولما قدم أهل نجران على النبيِّ ﷺ وطلبوا منه أن يرسل إليهم رجلًا أمينًا، قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لَأَبْعَثَنَّ معكُمْ رَجُلًا أمِينًا حَقَّ أمِينٍ، فاسْتَشْرَفَ له أصْحابُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، فقالَ: قُمْ يا أبا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرَّاحِ، فَلَمَّا قامَ؛ قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: هذا أَمِينُ هذِه الأُمَّةِ" رواه البخاري ومسلم[٣].

كما كان لأبي عُبيدة مكانة عالية عند عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنهما-؛ فقد قال عنه عمر وهو يجود بأنفاسه:" لو كان أبو عُبيدة بن الجرَّاح حيًّا لاستخلفتُه، فإن سألني ربِّي عنه؛ قلتُ: استخلفتُ أمين الله وأمين رسوله ﷺ[٤].

وكان أبو عُبيدة زاهدًا في متاع الدنيا ورعًا؛ لما دخل أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب-رضي الله عنه- الشام تلقَّاه أُمراء الأجناد، فقال: أين أخي أبو عُبيدة؟ فقالوا: يأتي الآن، فجاء على ناقة مخطومة بحبل، فسلَّم عليه وأتى معه إلى منزله، فلم يَرَ فيه شيئًا إلَّا سيفه وترسه ورحله، فقال له عمر: لو اتَّخذتَ متاعًا؟ قال: يا أمير المؤمنين؛ إنَّ هذا يُبلغنا المقيل، فقال: كلُّنا غيَّرتْه الدنيا غيرَك يا أبا عُبيدة[٥].

وأرسل إليه عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنهما- يومًا بأربعة آلاف درهم وأربعمائة دينار وقال لرسوله: انظرْ ما يصنع؟ فقسَّمها أبو عُبيدة، فلما أُخبِر عمر بما صنع أبو عُبيدة بالمال قال: الحمد لله الذي جعل في الإسلام مَن يصنع هذا[٦].

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٦٤٧/٥) برقم (٣٦٨٦) أبواب المناقب. باب مناقب عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهري رضي الله عنه. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سُنن الترمذي (٨/ ٢٤٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٧٢/٥) برقم (٤٣٨٢) كتاب المغازي. باب قصَّة أهل نجران. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٨١) برقم (٢٤١٩) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل أبي عُبيدة بن الجرَّاح رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١٧١/٥) برقم (٤٣٨٠) كتاب المغازي. باب قصَّة أهل نجران. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٨٢) برقم (٢٤٢٠) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل أبي عُبيدة بن الجرَّاح رضي الله عنه.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٣٢٥/٣) برقم (٥٢٣١).

(٥) رواه معمر في جامعه (١١/ ٣١١). الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزَّاق)، المؤلف: معمَّر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣هـ)، المحقِّق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

(٦) الطبقات الكبرى (٣/ ٤١٣).



ومن مواقف أبي عُبيدة أيضًا؛ ما حدث بينه وبين عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنهما-، فإنَّه لما بلغ عمرَ أنَّ أبا عُبيدة حُصِر بالشام وتألَّب عليه العدو، فكتب إليه عمر: أمَّا بعد؛ فإنَّه ما نزل بعبدٍ مؤمنٍ شدَّة إلَّا جعل الله بعدها فرجًا، وإنَّه لن يغلب عُسْرٌ يُسْرَين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[١]. فكتب إليه أبو عُبيدة: أمَّا بعد، فإنَّ الله يقول: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾[٢]، قال: فخرج عمر بكتابه فقرأه على المنبر فقال: يا أهل المدينة؛ إنَّما يُعرِّضُ بكم أبو عُبيدة أو بي، ارغبوا في الجهاد[٣].

وعند فتح بيت المقدس عرضتْ لعمر مخاضة، فنزل عن بعيره ونزع خُفَّيْه فأمسكَها بيده وخاضَ الماءَ ومعه بعيره، وكان أبو عُبيدة في استقباله، فقال له أبو عُبيدة: قد صنعتَ اليوم صنيعًا عظيمًا عند أهل الأرض؛ صنعتَ كذا وكذا، فصكَّ عمر في صدره وقال: أوه، لو غيرك قالها يا أبا عُبيدة، إنَّكم كنتم أذلَّ الناس، وأحقرَ الناس، وأقلَّ الناس، فأعزَّكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العزَّ بغيره؛ يذلَّكم الله عزَّ وجلَّ[٤].

وكان رجلًا من الرجال الذين على أكتافهم انتشر الإسلام وقامت دولته، ولذلك تمنَّى عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- أن يكون معه رجال أمثاله، فيُروى أنَّه قال لأصحابه ذات يوم: تمنَّوا، فقال بعضهم: أتمنَّى لو أنَّ لي هذه الدار مملوءة ذهبًا أنفقه في سبيل الله وأتصدَّق، وقال رجل: أتمنَّى لو أنَّها مملوءة زبرجدًا وجوهرًا فأنفقه في سبيل الله وأتصدَّق، ثم قال عمر: تمنَّوا، فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين، فقال عمر: أتمنَّى لو أنَّها مملوءة رجالًا مثل أبي عُبيدة بن الجرَّاح ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حُذيفة وحُذيفة بن اليمان[٥].

---

(١) آل عمران: ٢٠٠.

(٢) الحديد: ٢٠.

(٣) رواه ابن المبارك في الجهاد (ص ١٦٤). الجهاد لابن المبارك، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ)، حقَّقه وقدَّم له وعلَّق عليه: د. نزيه حماد، الناشر: الدار التونسية– تونس، تاريخ النشر: ١٩٧٢م.

(٤) يُنظَر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٥). تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقِّق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

(٥) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ١٠٢).



وقد تُوفِّيَ أبو عُبيدة بن الجرَّاح- رضي الله عنه- في طاعون عمواس (وهي قرية بين الرملة وبيت المقدس) سنة ثماني عشرة من الهجرة، عن ثمان وخمسين سنة، وقيل: مات بالأردن، وصلَّى عليه معاذ بن جبل- رضي الله عنهما-.

والخلاصة: أنَّ أبا عُبيدة صحابي جليل من السابقين الأوَّلين للإسلام؛ كان خامس خمسة أسلموا على يد أبي بكر الصِّدِّيق- رضي الله عنه-، وهو أحد العشرة المبشَّرين بالجنَّة، أمضى حياته مجاهدًا في سبيل الله، ومات في أرض الفتوح، كان ممَّن حضر غزوة بدر الكبرى، وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وحضر غزوة أحُد، وكان من الذين ثبتوا في ميدان المعركة، وكان من المدافعين عن النبي ﷺ.



١٨ ربيع الأول

عمر بن عبد العزيز

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو حفص القرشيّ الأموي، وأُمُّه أُمُّ عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنهما، كان حاكمًا عادلًا زاهدًا ورِعًا، مُحِبًّا للعلم والسُّنَّة، واشتُهر بذلك منذ صغره. كان يُلقَّب بأشجِّ بني أُميَّة؛ لأنَّه وقع عن فرس أبيه وهو صغيرٌ وشُجَّ رأسُه، وهو اللقب الأشهر له، كما كان يُلقَّب بالمهدي وبإمام الهُدى، وبخامس الخلفاء الراشدين.

وُلِدَ عُمر بن عبد العزيز في المدينة، وكان كثير التَّردُّد على عبد الله بن عُمر- رضي الله عنه-؛ لمحبَّته له، وكثرةِ تعلُّقهِ به، وكان يقولُ لأُمِّه: إنَّهُ يريدُ أن يُصبح مثله، وكان مولده في السنة الحادية والسِّتِّين للهجرة، ونشأ في نعيمٍ ورفاهيَّة، حيثُ كان أبوه أميرًا على مصر، وعمُّه الخليفة عبد الملك، ولكن هذا لم يمنعه من حفظ القُرآن الكريم، وتلقِّيه للعلم على يد أكابر الصَّحابة الكرام؛ كعُبادة بن الصَّامت، وعبد الله بن عُمر- رضي الله عنهما-. كما أنَّه تلقَّى العلم من كِبار التَّابعين؛ كسعيد بن المسيَّب، بالإضافةِ إلى تعلُّمه اللغة العربية، وممَّا زاد في استقامته ودينه تعلُّقهِ بِعَمِّ أُمِّه عبد الله بن عُمر- رضي الله عنه-، وذات يومٍ بعث أبوه إلى أُمِّه أن تَحْضر معه إلى مصر، فلمَّا عزمت على السَّفر مع ابنها عُمر جاءها عبد الله بن عُمر- رضي الله عنه- واستأذنها في بقاء ابنها معه، فوافقتْ على طلبه وأبقتْه معه، ولما وصلتْ إلى زوجها وأخبرتْه بذلك سُرَّ وكتب إلى أخيه عبد الملك بن مروان ليجعل له في كُلِّ شهرٍ ألفَ دينار. وقد نشأ عُمرُ في المدينة بين أخواله، وتعلَّم كثيرًا من الصَّحابة الكرام وتأثَّر بهم، كما كان كثير البُكاء من خشية الله تعالى، وخاصَّةً عند قراءتهِ للقُرآن، كما تأثَّر بوالده في طلب الحديث، وكان يذهب إلى العلماء والفقهاء؛ ليتعلَّم منهم، ممَّا دفعه إلى ترْك صُحبة أقرانه من الشباب، وكان يُكثِر الجلوس في مجالس العلم، ولا يُهدِر وقته إلَّا في القراءة أو الكِتابة أو المذاكرة، ممَّا أكسبه الذكاء والعلم والبصيرة والحِكمة والفقه، وكان لأُسرتِهِ فضلٌ كبيرٌ في تكوينِ شخصيته وعلمه، بالإضافةِ إلى إقباله على العلم منذ صغره، وتأثُّره ببيئته في المدينة، حيث عاش في مُجتمعٍ يسوده التقوى والصلاح.

تولَّى عمر بن عبد العزيز الخلافة بعد أن تولَّى سليمان بن عبد الملك الخلافة وعيَّنه مُستشارًا وناصحًا له، فلمَّا حضرتْ سليمان الوفاة أوصى بأن يكون عمر الخليفة من بعده؛ لِما رأى منه من



قُدرةٍ على تولّي الحُكم، ورأى أيضًا صلاحه وتقواه، وكان عمر بن عبد العزيز قبل ذلك قد ولِي خلافة المدينة المنوّرة في عهد الوليد بن عبد الملك، ونشَر فيها العدل والأمن، وساد فيها الهدوء والاستقرار، وجدَّد بناء المسجد النَّبويّ، فأحبَّه أهل المدينة لِما بدا لهم من حُسْن خُلُقه وإتقان عمله، فأوصى سُليمان بالخلافة له مِن بعده، وأشهدَ مَن كان عنده، فلمَّا تُوفِّي أصبح عُمرُ أميرًا للمؤمنين، وصعد المنبر وقال:" إنَّ هذا لأمرٌ ما سألتُه اللهَ قط"، لكنَّ عُمر بخبرته في ولاية المدينة قُرابة سبعِ سنوات؛ اكتسب المهارة في ولاية الدولة، واشترط ثلاثة شروطٍ للولاية، وهي:

١- أن يعمل بالحق والعدل بين الناس، وأن لا يظلم أحدًا.

٢- أن لا يأخذ من بيت مال المسلمين، وألَّا يعطي إلَّا من كان له حقٌّ.

٣- أن يُسمَح له بالحجِّ في أوَّل سنةٍ من تولّيه الخلافة وأن يبقى في المدينة.

وافق الجميع على هذه الشُّروط، فأصبح خليفةً للمُسلمين، وعيَّن عشرةً من فُقهاء المدينة للشُّورى، وحرص على أموال الدولة، وكان دقيقًا في اختيار ولاته على الأمصار بناءً على معرفته الكاملة بأخلاقهم وقُدراتهم، وكان يُراقبُ أعمالهم ويُتابعها، ومَنَعهم من الأعمال الأُخرى كالتِّجارة، وأعطاهم من المال ما يكفيهم ويُغنيهم عن طلب الرِّزق، واكتفى هو بالحياة الخشنة؛ استشعارًا منه بحجم المسؤولية التي أُوكلتْ إليه، فكان يُفكِّر بالجائع والمريض والمظلوم، الأمر الذي جعل منه شخصًا نحيف الجسم، خشن اليد. وذات يومٍ أراد النَّوم، فجاءهُ ابنه يسأله عمَّا يُريدُ فعله، فأجابه: أيْ بُنيَّ؛ أريد أن أغفو قليلًا، فلم تبق في جسدي طاقة، فقال له: أتنام قبل أن تَرُدَّ المظالم؟ فقام مع ابنه، وأعانه على ذلك، وقال: الحمد لله الذي أخرجَ مِن صُلبي مَن يُعينُني على ديني، وكانت مُدَّة خلافتهِ سنتين وخمسةَ أشهرٍ وأربعة أيَّام، كان خلالها حاكمًا عادلًا، ورعًا، لا تأخُذهُ في الله تعالى لومة لائم، وكانت مُبايعتُهُ بالخلافة سنة إحدى وستّين من الهجرة.

حرص عمر بن عبد العزيز خلال مدَّة خلافته على الأمور الماليَّة للدولة الإسلاميَّة، فلم يتصرَّف في المال العام إلَّا بحِكمة وبدقَّة عالية، حتَّى فاضت الأموال وعاش المسلمون برخاءٍ وراحةٍ، فاستطاع عمر بن عبد العزيز على سبيل المثال أن يُعيِّن لكلِّ شخصٍ أعمى مُرافِقًا يقوده ويخدمه، ولكلِّ مريضٍ مُعينًا له يقضي حوائجه، ولكلِّ يتيمٍ مَن يخدمه ويعاونه في شؤونه، كما أنَّه قضى الدَّيْن عن الغارمين، وفكَّ رِقاب الأسرى، وجعل رواتب للعلماء وطلَّاب العلم والمؤذِّنين، وأعان مَن يريد الزواج.



ولكن يبقى تدوين السُّنَّة من أهمِّ الأعمال التي قام بها الخليفة، حيث كتب إلى علماء الأمصار بأن يجمعوا الأحاديث التي دوَّنوها ليجمعوها في دفاتر لتُحفَظ من النسيان والضياع، فجُمعتْ في دفاتر، فبُوِّبت السُّنَّة وصُنِّفتْ وحُفظتْ، وظهرت المصنَّفات الكبرى الخاصَّة بالسُّنَّة النَّبويَّة وتنوَّعتْ مناهجها.

تُوفِّي عمر بن عبد العزيز ١٠١هـ مسمومًا؛ حيث كان له مولى قد وضع له السُّمَّ في طعامه أو شرابه، وأخذ على فِعْلته هذه ألف دينار، وقد علم عمر بفِعْلته هذه فسأله عن السبب الذي حمله على فعل ذلك، فلمَّا علم أنَّه مِن أجل المال أخذه منه وأودعه بيت مال المسلمين، ثم طلب منه أن يختبئ خوفًا من أن يراه أحدٌ، ولما شعُر أنَّ أجله قد اقترب جمع أولاده وأوصاهم بتقوى الله تعالى، وأخبرهم بأنَّه ترك الدنيا وتجارتها لينال رضا الله تعالى ويفوز بالآخرة.

فلمَّا مات رثاه كثيرٌ من الشعراء؛ كان أبرزهم جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي، أحد أشهر شعراء العصر الأموي؛ حين قال:

تنعي النُّعاةُ أميرَ المؤمنينَ لنا ... يَا خيرَ مَن حجَّ بيتَ اللهِ واعتمرا
حُمِّلتَ أمرًا عظيمًا فاصطبرتَ له ... وقُمتَ فيه بأمرِ اللهِ يَا عُمرا
فالشَّمسُ كاسفةٌ ليستْ بطالعةٍ ... تبكي عليك نُجومُ الليلِ والقَمرا[1]

(١) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب (٢/ ٧٣٦). ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، المحقِّق: د. نعمان محمد أمين طه، الناشر: دار المعارف، القاهرة– مصر، الطبعة: الثالثة.

١٩ ربيع الأول

المرأة الصالحة

من الواجب على الشخص المؤمن أن يكون الدين مطمحَ نظرِه في كلِّ شيءٍ؛ خاصَّة في أمر المرأة التي يختارها زوجةً له، وأن يُؤثِر ذات الدين على غيرها، ثم يجب أن يلحظ صلاح المرأة ومنشأها والبيئة التي عاشت فيها، لأنَّ صلة الزوجيَّة أشدُّ وأقوى صلة حيويَّة اجتماعيَّة. قال ﷺ:" مَن رزقَه اللهُ امرأةً صالحةً فقد أعانه على شطر دينه، فلْيتقِ الله في الشطر الباقي" أخرجه الطبراني والبيهقي وصحَّحه الألباني(١).

ورحم الله الإمام الشافعي حيث يقول:

وإن تزوجتَ فكُن حـــــاذِقًا   واسألْ عن الغُصنِ وعن مَنبتِه
وابحثْ عن الصهرِ وأخوالِهِ   من عُنصر الحيِّ وذي قُربتِه(٢)

ونظرًا لأهمِّيَّة صلاح الزوجة وما يعود على الزوج والأسرة من نفعٍ، فقد ذكر الله تعالى ذلك في القرآن الكريم، فجاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾(٣)، فمِن طبيعة الزوجة المؤمنة الصالحة، ومن صفتها الملازمة لها بحكم إيمانها وصلاحها؛ أن تكون قانتة مطيعة.

قال العلَّامة السعدي: وظيفتها: القيام بطاعة ربِّها وطاعة زوجها فلهذا قال: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾ أي: مُطيعات لله تعالى ﴿ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ﴾ أي: مُطيعات لأزواجهنَّ حتَّى في الغيب،

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٢٩٤). والبيهقي في شُعب الإيمان (٧/ ٣٤١) برقم (٥١٠١). المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقِّق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين– القاهرة. شُعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حقَّقه وراجع نصوصه وخرَّج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي– الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٣ م. والحديث ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٢٠٠).

(٢) يُنظَر: مجموعة القصائد الزُّهديَّات، لا توردنَّ على سمعي من الكلم (ص ٤٢٨). مجموعة القصائد الزُّهديَّات، المؤلف: أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (ت١٤٢٢هـ)، الناشر: مطابع الخالد للأوفسيت– الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ.

(٣) النساء: ٣٤.



تحفظ بعلها بنفسها وماله، وذلك بحفظ الله لهنَّ وتوفيقه لهنَّ، لا من أنفسهنَّ، فإنَّ النفس أمارةٌ بالسوء، ولكن مَن توكَّل على الله كفاه ما أهمَّه من أمر دينه ودنياه[١].

والسعادة مشروطة بما إذا كانت الزوجةُ صالحةً؛ قال ﷺ:" ثلاثٌ من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح" رواه أحمد[٢].

وقال أيضًا:" الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة" أخرجه مسلم[٣]؛ أي: الدنيا متاع زائل، وخير ما فيها من هذا المتاع المرأة الصالحة؛ لأنَّها تُسعِد صاحبها في الدنيا، وتُعينه على أمر الآخرة، وهي خير وأبقى.

سعادةُ المرءِ في خمسٍ إذا اجتمعتْ ... صلاحِ جيرانِه والبِرِ في ولدِه
وزوجةٍ حسُنتْ أخلاقُها وكذا ... خِلٌّ وفيٌّ ورِزقٌ طاب في بلدِه[٤]

فالزوجة الصالحة إلى جوار ذلك تستقبل أوامر زوجها بكلِّ رحابةِ صدرٍ؛ ما لم يأمرْها بمعصية لله الواحد الدَّيَّان، تفعل ذلك لأنَّها ترجو من أن تكون ممن شهد النبيُّ ﷺ لهنَّ بالخيريَّة؛ ففي مسند الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَهَا، وَلَا تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا وَلَا فِي مَالِهِ[٥].

والمرأة الصالحة تتكلَّم مع زوجها بكلِّ أدبٍ واحترامٍ، لعلْمها بعظيم حقِّه عليها؛ مُتذكِّرةً قول النبي ﷺ:" لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ؛ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا" رواه ابن ماجه[٦].

---

(١) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ١٧٧).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٥٥) برقم (١٤٤٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/١٧١) برقم (٤٣٨٠) كتاب المغازي. باب قصَّة أهل نجران. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٩٠) برقم (١٤٦٧) كتاب فضائل الرضاع. باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة.

(٤) يُنظَر: الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسُّنَّة (ص ٣٨). الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسُّنَّة، المؤلف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

(٥) رواه أحمد في مسنده (١٥/ ٣٦٠) برقم (٩٥٨٧). والحديث صحَّحه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ٤٥٣).

(٦) رواه أحمد في مسنده (٤١/١٨) برقم (٢٤٤٧١). وأبو داود في سننه (٢/٢٤٤) برقم (٢١٤٠) كتاب النكاح. باب في حقِّ الزوج على المرأة. والترمذي في جامعه (٣/ ٤٥٧) برقم (١١٥٩) أبواب الرضاع. باب ما جاء في حقِّ الزوج على المرأة. وابن ماجه في سننه (١/٥٩٥) برقم (١٨٥٢) كتاب النكاح. باب حقِّ الزوج على المرأة. والحديث صحَّحه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٥٤).



كما أنَّ المرأة الصالحة تسعى لكسب رضا زوجها بشتَّى الوسائل، لأنَّها تعلم أنَّ في رضاه رضا الرحمن، وفي سخطه سخط الجبَّار، علَّمها ذلك خير البرية ﷺ حينما أوصى تلك المرأة فقال لها: أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟ قَالَتْ: مَا آلُوهُ إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ، قَالَ:" فَانْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ"رواه أحمد(١).

ولذلك قال أيضًا:" أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ "رواه الترمذي(٢).

وقد ضرب الله تعالى لعباده المؤمنين مثلًا بامرأة، فقال الله سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٣).

قال العلامة السعدي: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾ وهي آسية بنت مزاحم- رضي الله عنها- ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فوصفها الله بالإيمان والتضرُّع لربِّها، وسؤالها لربِّها أجلَّ المطالب، وهو دخول الجنَّة، ومجاورة الربِّ الكريم، وسؤالها أن ينجيها الله من فتنة فرعون وأعماله الخبيثة، ومن فتنة كلِّ ظالمٍ، فاستجاب الله لها، فعاشت في إيمانٍ كاملٍ، وثباتٍ تامٍّ، ونجاةٍ من الفتن(٤).

والسؤال الذي يشغل بال الكثيرين: كيف يصل المسلم إلى الزوجة الصالحة؟

أوَّلًا: عليه بالدعاء؛ فهو وسيلةٌ نافعةٌ في كلِّ الأحوالِ، فدعاء زكريا ربَّه: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾(٥). فبسبب دعائه وهبَهُ اللهُ تعالى يحيى، وأصلح له زوجه بأن جعلها ولودًا بعد العقر؛ حسنة الخَلْق والخُلُق.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣١/ ٣٤١) برقم (١٤٤٥). والحديث صحَّح إسناده الألباني كما في آداب الزفاف في السُنَّة المطهَّرة (ص ٢٨٥). آداب الزفاف في السُّنَّة المطهَّرة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار السلام، الطبعة الشرعية الوحيدة ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢ م.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٣/ ٤٥٨) برقم (١١٦١) أبواب الرضاع. باب ما جاء في حقِّ الزوج على المرأة. وابن ماجه في سننه (١/٥٩٥) برقم (١٨٥٤) كتاب النكاح. باب حقِّ الزوج على المرأة. والحديث قال عنه الألباني: منكر. كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السَّيِّئ في الأُمَّة (٣/ ٦١٦).

(٣) التحريم: ١١.

(٤) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٨٧٥).

(٥) الأنبياء: ٨٩-٩٠.



ثانيًا: البحث عن ذات الدين؛ فلا يتوقَّف المسلم عند الدعاء فقط، بل عليه أن يأخذ بالأسباب، ويبحث عن ذات الدين؛ لأنَّها هي التي تُسعِد زوجها، وتُرضي ربَّها، وتُربِّي أبناءها، ولا ينشغل بجمال المظهر فقط.

ليس الجَمالُ بأثوابٍ تُزيِّنُنا   إنَّ الجَمالَ جَمالُ العلمِ والأدبِ[1]

ثالثًا: الاستخارة الشرعيَّة؛ فإذا وجد ذات الدين فعليه أن يستخير الله تعالى فيها، فالله عزَّ وجلَّ يعلم خفايا الأمور وخبايا النفوس، فتقول كما علَّمَنا رسولُنا ﷺ:" اللَّهُمَّ إِنِّي أستخِيرُك بعِلمِكَ، وأسْتَقْدِرُكَ بقدرتِكَ، وأسأَلُكَ مِن فَضْلِكَ العَظِيمِ، فإنَّك تَقدِر ولا أقْدِر، وتعْلَمُ ولا أعْلَم، وأنتَ علَّامُ الغُيوبِ، اللَّهُمَّ إن كُنت تعْلَمُ أنَّ فِي زَوَاجِي مِنْ فُلَانةٍ (ويُسمِّيها) خيرًا لي في دِينِي ومَعَاشِي وعاقِبَةِ أمْرِي؛ فاقْدُره لي ويسِّرْهُ لي ثمَّ بَارِك لي فِيه، وإن كُنتَ تعْلَمُ أنَّ في زَوَاجِي مِنْهَا شَرًّا لي في دِينِي ومعاشِي وعاقبةِ أمْرِي؛ فاصرِفْهُ عنِّي واصْرِفْنِي عنه واقْدر لي الْخَيرَ حيثُ كان، ثمَّ أرْضِنِي بِهِ" وأصل الحديث في البخاري[2].

والخلاصة: أنَّه على المسلم أن يُحسن اختيار زوجته، لأنَّه متى أحسنَ الاختيار نتجَ عن ذلك سعادةٌ له، وعونٌ على دينه، وجيل منضبط مستقيم، وإذا أساء الاختيار جنى المرَّ والحنظل، وخرج لنا جيلٌ مُعوَّج.

وقد أجمل النبي ﷺ شروط اختيار الزوجة في الحديث الذي قال فيه:" تُنْكَحُ المرْأَةُ لأرْبَعٍ: لِمالِها، ولِحَسَبِها، وجَمالِها، ولِدِينِها، فاظْفَرْ بذاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَداكَ " رواه البخاري[3].

---

(١) يُنظَر: موارد الظمآن لدروس الزمان (٢/ ١٥). موارد الظمآن لدروس الزمان، خُطب وحِكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حِسان، المؤلف: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الطبعة: الثلاثون، ١٤٢٤هـ.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨١/٨) برقم (٦٣٨٢) كتاب الدعوات. باب الدعاء عند الاستخارة.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٧/٧) برقم (٥٠٩٠) كتاب النكاح. باب الأكفاء في الدين. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٨٦) برقم (١٤٦٦) كتاب الرضاع. باب استحباب نكاح ذات الدين.

٢٠ ربيع الأول

وكان أبوهما صالحًا

صلاح الولد قرة عين الوالد، ومُنَى نفسِه حين يغدو صلاح ولده- ابنًا كان أو بنتًا- بركةً عليه؛ يتفيَّؤ ظلالها، وينعم برُوحها، ويرجو بِرَّها وذُخْرَها في الدارين. ولذلك يسعى الوالد باحثًا أسبابَ صلاح ولده.

والقرآن الكريم والواقع المشاهَد يُؤَكِّدان على أنَّ صلاح الآباء واستقامتهم؛ له دورٌ كبيرٌ في صلاح الأبناء وتوفيقهم، ذلك لأنَّ للآباء دورًا كبيرًا في تنشئة الأبناء، وأثرًا عميقًا في صلاحهم، والوالد مرآة ابنه، ومحلُّ النظر الأوَّل في الأسوة والقدوة، فصلاح الأبناء مُرتبِطٌ بصلاح الآباء، وإذا فسد الآباء فسد الأبناء، وفي سورة الكهف في قصَّة موسى مع الخضر- عليهما السلام- قال تعالى على لسان الخضر: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[1]، لقد حفظ الله الكنز لليتيمَينِ ببركة صلاح أبيهما، وأرسل الله رَجُلَينِ عظيمَينِ موسى والخضر- عليهما السلام-، فحينما نزل الرجلان إلى القرية وطلبا من أهلها الضيافة، وكان أهلها بخلاء أشحاء فضنُّوا عليهما حتَّى بشربة ماء، ومع هذا عندما وجد العبد الصالح جدارًا أوشك على السقوط؛ شمَّر عن ساعده وقابل البخل بالكرم والمعروف، وأعاد بناء هذا الجدار، ولما سُئل في ذلك قال: إنَّ الجدار كان لغلامين يتيمين في المدينة، وأنَّ هناك كنزًا تحت هذا الجدار، وأنَّ أبوَيْهما صالحان، فأبقى الله تعالى أثر صلاح الوالدَينِ في أولادهما، وقد ذكر بعض المفسرين أنَّه كان الجدَّ السادس، أو السابع، أو العاشر، وقال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-:" حُفِظا بصلاح أبيهما، ولم يُذكَر لهما صلاح" أي: لم يُبيِّن لنا القرآن: هل كان الأولاد صالحِينَ كآبائهم كي يستحقُّوا هذه المكافأة أم لا ؟!!

فصلاح الأبناء ينسحب خيرًا للآباء، وكذلك صلاح الآباء، فقد كان تحت هذا الجدار كنزٌ لهما، وَرِثَاه عن أبيهما الصالح فيما يظهر، والكنز هو المال الكثير المدفون في باطن الأرض، وهذا الكنز مُضيَّعٌ إن لم يُستخرَج، وقد أراد الله تعالى أن يستخرج كنزهما.

---

(١) الكهف: ٨٢.



إنَّ هذه الآية الكريمة تُمثِّل قاعدةً ربانيَّةً، لكلِّ أبٍ أو أُمٍّ يُريدان الصلاح والنجاح لأبنائهما، فعليهما أن يُصلحا من أنفسهما أوَّلًا، ويجِدَّا في طاعة الله والاستقامة على منهجه، ليحفظ الله ذرِّيَّتهما، وأولادهما من بعدهما.

والغلامان كانا صغيرَين كما يدلُّ على ذلك وصفهما باليُتم، فإنَّه لَا يُتم بعد البلوغ إلَّا أن تكون آفة في العقل أو النفس، واللفظ يُطلَق على ظاهره ما لم يقم دليلٌ يُوجب تحويله عن الحقيقة إلى المجاز، وإطلاق اليُتم على البالغ مجاز، ولقد قال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- في هذا المجاز: الرجل يتيم ما لم يرشد ولو بلغ الأربعين، ولكنَّ ذلك مجازٌ لا حقيقة. ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ الأب هو الأب القريب؛ لأنَّه لا يكون يتيمًا إلَّا إذا كان قد فَقَدَ الأب القريب، وكما يكون الصلاح مُمتدًّا من الآباء إلى الأبناء فإنَّ العكس أيضًا صحيح؛ فصلاح الأبناء ينفع الآباء، كما قال النبي ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلَّا من ثلاثٍ: صدقة جارية، وعلم يُنتفَع به، وولد صالح يدعو له" رواه مسلم(١).

و يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: فيه دليلٌ على أنَّ الرجل الصالح يُحفَظ في ذرِّيَّته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة، بشفاعته فيهم، ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنَّة لتقرَّ عينُه بهم(٢).

وقد جرت العادة في الغالب أن يفسد الناس بفساد كبرائهم وأن يستقيموا باستقامتهم، ويرتبط صلاح الأبناء بتقوى الآباء؛ لأنَّ الولد يتبع أباه في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته؛ فالولد ظلُّ أبيه ولا يستقيم الظلُّ والعود أعوج، فإذا فسد الآباء فسد الأبناء، ولو تأمَّلْنا هذه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾(٣)؛ لوجدنا أنَّ القرآن يضع لنا قاعدة ربانيَّة هي: أنَّ مَن أراد أن يُنجي نفسه ويُنقذ أبناءه مِن بعده؛ فعليه بتقوى الله ومخافته؛ فالذين يتَّقون الله في الذُّرِّيَّة الضعيفة يضمنون أنَّ الله سيرزقهم بمَن يتَّقي الله في ذُرِّيَّتهم الضعيفة، ومعنى الآية أَي: ولْيخشَ مَن كان له أولادٌ صغارٌ خافوا عليهم من بعدهم الضيعة؛ أن يتَّقوا الله وسوف يرزقهم بمَن يتَّقي الله في ذُرِّيَّتهم الضعيفة؛ فتقوى الآباء وصلاحهم لها دورٌ كبيرٌ في صلاح أبنائهم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧/٧) برقم (٥٠٩٠) كتاب النكاح. باب الأكفاء في الدين. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٢٥٥) برقم (١٦٣١) كتاب الوصية. باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ١٨٦).

(٣) النساء: ٩.



إنَّ تقوى الوالدَينِ وأعمالهم الصالحة لها أثرٌ عظيمٌ في صلاح أبنائهم ونفعهم في الدنيا والآخرة، وقد ورد عن بعض السلف أنَّه قال لابنه:" يا بُنيَّ؛ لأزيدنَّ في صلاتي من أجلك"(١)، فقال بعض العلماء: معناه سأُصلِّي كثيرًا وأدعو الله لك كثيرًا في صلاتي، وورد عن عمر بن عبد العزيز عندما سُئل وهو على فراش الموت: ماذا تركتَ لأبنائك يا عمر؟ قال: تركتُ لهم تقوى الله، فإن كانوا صالحين فالله تعالى يتولَّى الصالحين، وإن كانوا غير ذلك فلن أترك لهم ما يُعينهم على معصية الله تعالى(٢).

وقال الإمام ابن القيِّم: أكثر الأولاد إنَّما جاء فسادُهم من قِبَل الآباء، وإهمالهم لهم، وترْك تعليمهم فرائض الدين وسُننه، فأضاعوهم صغارًا، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوهم كبارًا(٣).

وقد ورد في قصَّة الرَّجُل الصالح والد عبد الله بن المبارك الذي كان يعمل حارسًا لبستان أحد الأثرياء، وذات يوم طلب منه صاحب البستان أن يُحضِر له رمانًا حُلوًا فأحضره فإذا هو حامض، فغضب مولاه ثم تكرَّر ذلك ثلاث مرَّات وفي كلِّ مرَّةٍ يكون الرمان حامضًا؛ فقال له مولاه: أنت لا تعرف الحامض من الحُلو؟ فقال المبارك: ما أكلتُ منه شيئًا حتَّى أعرفه؛ فقال: لَمَ لمْ تأكل؟ قال المبارك: لأنَّك ما أذِنتَ لي بالأكل منه؛ فعجب صاحب البستان وعظم في عينه وزاد قدره عنده، وكان لصاحب البستان له بنت خُطِبت كثيرًا، وذات يوم قال لمبارك: يا مبارك؛ مَن ترى نُزوِّج هذه البنت؟ فقال: أهل الجاهلية كانوا يُزوِّجون للحسب، واليهود للمال، وهذه الأُمَّة للدين؛ فأعجبه عقله وأخبر الرجل زوجته، وقال لها: ما أرى لهذه البنتِ زوجًا غير المبارك، فتزوَّجَها وكان من ثمرة ذلك" عبد الله بن المبارك"(٤).

---

(١) ذكره ابن رجب عن سعيد بن المسيب رحمهما الله. يُنظَر: جامع العلوم والحكم (١/ ٤٦٧). جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقِّق: شعيب الأرناؤوط- إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٢) ذكره بهذا المعنى ابن عثيمين كما في تفسير العثيمين النساء (ص ٣٢٨). تفسير القرآن الكريم (سورة النساء) ، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩ م.

(٣) تحفة المودود بأحكام المولود (ص ٢٢٩). تحفة المودود بأحكام المولود، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقِّق: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان- دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٩١ هـ- ١٩٧١ م.

(٤) يُنظَر: الرزق أبوابه ومفاتحه (ص ٢٧، بترقيم الشاملة آليًّا). الرزق أبوابه ومفاتحه، المؤلف: عبد الملك بن محمد القاسم، الناشر: دار القاسم.

والخلاصة: أنَّ مَن أرادَ أن يحفظ الله له ذُرِّيَّته مِن بعده؛ فلْيتقِ الله وليُحسنْ ولْيعلمْ أنَّ بصلاح الآباء تنصلح الذُّرِّيَّة، كما قال الله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[1].

---

(١) النساء: ٩.



٢١ ربيع الأول

إنَّهم فتية آمنوا بربِّهم

ما ارتقت الأُمَّة الإسلاميَّة إلى ذروة المجد والعَظمة إلَّا بفتية آمنوا بربِّهم فزادهم هُدًى، كان الإيمان يملأ صدورهم، والإسلام هو الذي يُسيِّر حياتهم، فرفعوا راية الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، فلمَّا تخلَّى هؤلاء الفتية عن رسالتهم، وتنازلوا عن قيمهم ومبادئهم؛ هوت أُمَّة الإسلام من ذروة المجد والعظمة إلى حضيض الذُّلِّ والهوان، ولكنَّها ما زالت خيرَ أُمَّةٍ أُخرِجت للنَّاس.

قال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾(١).

قال العلَّامة السعدي: هذا شروعٌ في تفصيل قصَّتهم، وأنَّ الله يقصُّها على نبيِّه بالحقِّ والصدق، الذي ما فيه شكٌّ ولا شُبهةٌ بوجهٍ من الوجوه، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾وهذا من جموع القِلَّة، يدلُّ ذلك على أنَّهم دون العشرة، ﴿ آمَنُوا ﴾ بالله وحده لا شريك له من دون قومهم، فشكر الله لهم إيمانهم، فزادهم هدًى، أي: بسبب أصل اهتدائهم إلى الإيمان؛ زادهم الله من الهدى، الذي هو العلم النافع، والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾(٢).(٣)

فمَن هؤلاء الفتية؟ وما شأنهم؟ ولماذا اعتزلوا قومهم، وهجروا ديارهم، وفارقوا أهلهم؟ لماذا تجرَّدوا من زينة الأرض ومتاع الحياة؟ ما هي القضية التي تشغلهم؟

إنَّهم أشدَّاء في أجسامهم، أشدَّاء في إيمانهم، أشدَّاء في استنكار ما كان عليه القوم، كانوا بين خيارين: إمَّا أن يرضوا بمتاع الحياة الدنيا وزخرفها، أو يفرُّوا بدينهم وعقيدتهم، فاختاروا ما جعل لهم قيمة وشأنًا، إنَّه الإيمان، قال عنهم سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾(٤)

فبالإيمان انقلب الكهف إلى مأوى كما قال الله: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾(٥)، ومن آثار الإيمان وثمراته تثبيت الله لأهله، قال الله: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾(٦).

---

(١) الكهف: ١٣.

(٢) مريم: ٧٦.

(٣) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٧١).

(٤) الكهف: ١٣.

(٥) الكهف: ١٦.

(٦) الكهف: ١٤.



إنَّ الاعتراف بالعبودية عزَّةٌ يعتزُّ بها أصحاب الكهف كما قال الله عنهم: ﴿إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(١)، وليست عزَّة أعظم من أن تكون عبدًا لله.

إنَّ القلوب المؤمنة تعلم أنَّ ما على الأرض إنَّما جُعِل للابتلاء والامتحان، وأنَّ نهاية هذا الكون إلى الفناء والزوال، قال الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾(٢).

والشباب أقبل للحقِّ، وأهدى للسبيل، ولقد كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله ﷺ هم الشباب، فكُتَّاب الوحي هم الشباب، وحفظة السُّنَّة هم الشباب، وسفراء رسوله ﷺ هم الشباب، وشعراؤه ﷺ هم الشباب، وقادة الجيوش يمنة ويسرة هم الشباب، فعلى أكتافهم تقوم الحضارات، وتنهض الأمم.

يقول تبارك وتعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾(٣)، فالشباب هو قوَّةٌ بين ضَعْفَين: قوَّةٌ بين ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، وما بكت العرب على شيءٍ كما بكت على الشباب، حتَّى قال قائلهم:

ألَا ليتَ الشبابَ يعودُ يومًا … فأخبرَه بما فعلَ المشيبُ(٤)

الشباب فترةٌ زمنيَّةٌ لها قيمتها ومكانتها في الحياة، فهي باكورة الحياة، وأطيب العيش أوائله، كما أنَّ أطيب الثمار بواكيرها، والشباب مرحلة الفتوَّة والنضارة، فالشباب هم رجال الغد، وآباء المستقبل، وعليهم مهمَّة تربية الأجيال القادمة، وإليهم تؤول قيادة الأُمَّة في جميع مجالاتها.

ومن هنا يتأتَّى دور الأسرة والمربِّين في توجيهها إلى الخير، وبذْل مزيدٍ من التربية والرعاية والاهتمام.

وينشَأُ ناشِئُ الفِتيانِ منَّا … على ما كانَ عوَّدَه أبوهُ

---

(١) الكهف: ١٤.

(٢) الكهف: ٧،٨.

(٣) الروم: ٥٤.

(٤) البيت لأبي العتاهية. يُنظَر: نهاية الأرب في فنون الأدب (٢/ ٢٦). نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤلف: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ)، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

وما دانَ الفتى بحُجا ولكن يُعوِّدُه التديُّنَ أقربُوهُ[١]

وفي تعليم الآداب الشرعيَّة؛ يقول ﷺ لعمر بن أبي سلمة- رضي الله عنه:" يا غلام؛ سمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ ممَّا يليك" رواه البخاري ومسلم[٢]، وقال لابن عبَّاس- رضي الله عنهما-:" يا غلام؛ إنِّي أُعلِّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك" رواه أحمد والترمذي[٣].

وقد اهتمَّ الإسلام بالشباب؛ فجاء ذِكْرهم في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ لبيان فضْل هذه المرحلة وأهميتها ولفت الأنظار إليها، فيذكر الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم من قصص المرسلين، والصالحين الأوَّلين ما فيه هداية للبشر، قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾[٤]، والقدوة بهم في إيمانهم ودعوتهم وصبرهم، وقد قال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-: ما بعثَ اللهُ نبيًّا إلَّا شابًّا، ولا أوتي العلمَ عالمٌ إلَّا وهو شابٌّ[٥].

ومن حديث القرآن عن قصص الشباب التي تَروي مآثر جليلة؛ قصَّة الخليل إبراهيم- عليه السلام- فيحكي القرآن ما قال قومه عنه: ﴿ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾[٦]، قال ابن كثير:" أي شابًّا [٧]".

---

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٨/ ٢١٦، بترقيم الشاملة آليًّا). مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، المؤلف: أحمد قبش بن محمد نجيب.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/٦٨) برقم (٥٣٧٦) كتاب الأطعمة. باب التسمية على الطعام والأكل باليمين. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٩٩) برقم (٢٠٢٢) كتاب الوصية. باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٤٨٧) برقم (٢٧٦٣). والترمذي في جامعه (٤/ ٦٦٧) برقم (٢٥١٦) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع. باب بدون ترجمة. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سُنن الترمذي (٦/ ١٦).

(٤) الممتحنة: ٤.

(٥) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقِّه (٢/ ١٧٧). الفقيه والمتفقِّه، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقِّق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي- السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١ هـ. والأثر قال عنه الألباني:" موقوف ضعيف" كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السَّيِّئ في الأُمَّة (٩/ ٤٢٤).

(٦) الأنبياء: ٦٠.

(٧) تفسير ابن كثير ت سلامة (٥/ ٣٤٩).



وفي القرآن سورة تتحدَّث عن قصَّة يوسف- عليه السلام-، وفيها من العِبَر والفوائد الشيءُ الكثيرُ، وهو أحسن قدوة للشابِّ في العفَّة والطُهر، وإيثار مرضاة الله، وإن ناله في الدنيا ما ناله من تعبٍ وعناءٍ.

وقد اشتدَّ حرصه ﷺ وتوجيهه للشباب، وظهرت عنايته الفائقة بهم، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:" سبعةٌ يُظلُّهم اللهُ في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه، منهم : شابٌّ نشأ في طاعة الله" رواه البخاري ومسلم(١).

الخلاصة: أنَّ الشباب هم أمل الأُمَّة، وعلى أكتافهم تُرفَع كلمة الإسلام، وتعلو خفاقَّة في كلِّ مكانٍ، لذلك ينبغي أن تُولي المؤسَّسات كلُّها اهتمامًا بالغًا بالشباب، فهم سواعد الأُمَّة التي تبني وتُعمِّر، وهم حملة الدين، وهم شباب اليوم، صانعو المستقبل.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/١٣٣) برقم (٦٦٠) كتاب الأذان. باب مَن جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضْل المساجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٥) برقم (١٠٣١) كتاب الزكاة. باب فضْل إخفاء الصدقة.



٢٢ ربيع أول
سبعةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ

روى البخاري ومسلم في صحيحَيْهما عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال:" سبعةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ، يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه: إمامٌ عادِلٌ، وشابٌّ نشأ في عبادة الله، ورجلٌ قلبُه مُعلَّقٌ في المساجد، ورجلان تحابَّا في الله؛ اجتمعا عليه، وتفرَّقا عليه، ورجلٌ دعتْه امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجَمالٍ، فقال: إنِّي أخاف الله، ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتَّى لا تعلم شمالُه ما تُنفِقُ يمينُه، ورجلٌ ذَكَرَ الله خاليًا ففاضتْ عيناه"(١).

إنَّ لهذا الحديث أهمية عظيمة، جعلت العلماء يفردونه بالتأليف والشرح والبيان، بل لو أُفرِد كُلُّ واحدٍ من هؤلاء السبعة برسالةٍ مُستقِلَّةٍ لكان حريًّا بذلك، كما قال ابن عبد البَرِّ رحمه الله. وقد ألَّف في ذلك ابن حجر كتابًا أسماه" معرفة الخصال الموصِّلة إلى الظلال"، وللسيوطي كتاب" تمهيد الفرش في الخصال الموجبة لظل العرش"، وللسخاوي كتاب" الاحتفال بجمع أولي الظلال" وغيرهم.

واختُلفَ هل ذِكْر العدد سبعة في هذا الحديث له مفهومٌ فيُفيدُ الحصر، أم أنَّه لا مفهوم له؟

فقيل: إنَّ العدد في حديث الباب لا مفهوم له، فلا ينحصر عددهم بهؤلاء السبعة، ولذا جمع العلماء مَن ورد فيه هذا الفضل أن يُظِلَّه في ظِلِّه يوم لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه؛ حتَّى أوصلوا عددهم إلى السبعين. وقيل: إنَّ العدد في الحديث له مفهوم، والفضل مقصور على هؤلاء السبعة، وأمَّا غيرهم ممَّا ذكر في الأحاديث الأخرى فيندرج تحت صنف من هذه الأصناف السبعة.

وهؤلاء الأصناف الذين ذُكِروا في الحديث؛ يستظلُّون يوم القيامة بظلٍّ ظليلٍ، فهم إمَّا أن يستظلُّوا بظلِّ العرش، أو أنَّ الله تعالى يخلق لهم ظلًّا جزاءً لهم على طاعتهم.

وأمَّا الأصناف السبعة فهم كالتالي:

الأوَّل: إِمَامٌ عَادِلٌ: والمراد به الحاكم أو السلطان، ويدخل فيه القاضي أيضًا، وكُلُّ مَنْ له ولايةٌ على غيره، وفي الحديث:" إنَّ المقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ علَى مَنابِرَ مِن نُورٍ، عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ عزَّ وجلَّ، وكِلْتا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهِمْ وما ولوا " رواه مسلم(٢)، وهو الذي يتبع أمْر الله تعالى

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/١٣٣) برقم (٦٦٠) كتاب الأذان. باب مَن جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضْل المساجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٥) برقم (١٠٣١) كتاب الزكاة. باب فضْل إخفاء الصدقة.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٥٨) برقم (١٨٢٧) كتاب الإمارة. باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر.



بوضع كُلِّ شيءٍ في موضعه من غير إفراطٍ ولا تفريطٍ، وقد قُدِّم الإمام العادل في الذِّكْر لعموم النفع به؛ فنفعُه مُتعدٍّ، فإن عدل عدل مَنْ تحته وصلحت أحوال الناس.

الثاني: وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ: وخصَّ الله تعالى الشابَّ دون الصغير أو الكبير في السِّنِّ؛ لأنَّ الشباب مظنَّة غلبة الشهوة، فباعث الهوى والشهوة والانحراف فيه قوي، فإذا لازم العبادة مع ذلك كان أدلَّ على غلبة التقوى، ومعلومٌ أنَّه لا عصمة إلَّا للأنبياء، فلا يمكن أن يوجد مسلم بلا ذنوب؛ شابًّا كان أو غير شابٍّ، لأنَّ بني آدم خطَّاؤون لا محالة.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: والثاني شابٌّ نشأ في عبادة ربِّه، فمنذ الصغر وهو في العبادة، فهذا صارت العبادة كأنَّها غريزةٌ له، فألِفَها وأحبَّها، حتَّى إنَّه إذا انقطع يومًا من الأيام عن عبادةٍ تأثَّر(١).

الثالث: وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ: أي مُحِبٌّ للمساجد حُبًّا شديدًا، ومن شدَّة حُبِّه تعلَّق قلبُه بها؛ وإن كان جسده خارجًا عنها، فالمقصود طول الملازمة بالقلب حتَّى يعود إليها، ويتردَّد إلى صلاة الجماعة والقراءة والذِّكْر فيها، ويشهد لذلك رواية مسلم الأخرى:" ورجلٌ مُعلَّقٌ في المسجد إذا خرج منه حتَّى يعود إليه"(٢)، قال الإمام النووي: (مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ) وفي بعضها (مُتعلِّقٌ) بالتاء، وكلاهما صحيح، ومعناه شديد الحُبِّ لها والملازَمةِ للجماعة فيها، وليس معناه دوام القعود في المسجد(٣).

الرابع: وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ: أي داما على الحُبِّ في الله، ولم يقطعاه أبدًا سواء اجتمعتْ أجسادهم أم لم تجتمع في الدنيا حتَّى فرَّق بينهما الموت.

وهذه الخصلة مع السبعة؛ فيها بيانُ فضْلِ الله تعالى على عباده حتَّى عدَّها البعض من أيسر الخصال تحقُّقًا، وهذا بحمد الله تعالى مُشاهَدٌ كثيرًا بين مَن يستشعرون هذه العبادة.

الخامس: وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، أي طلبتْه لفعْل الفاحشة والزنا بها، وهذه أوَّل الدواعي في هذه الخصلة: الطلب جاء منها، وثاني الدواعي: أنَّها ذات منصب أي أصل وشرف ومال، وثالثها: أنَّها ذات جمال، ولا يمتنع عن ذلك مع وجود هذه الدواعي؛ إلَّا

---

(١) شرح صحيح البخاري (٣/٧٩). شرح صحيح البخاري لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، قسم التحقيق والبحث العلمي بالمكتبة الإسلامية، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧١٦) برقم (١٠٣١) كتاب الزكاة. باب فضْل إخفاء الصدقة.

(٣) شرح النووي على مسلم (٧/ ١٢١).

قلبٌ عظُمَ فيه الخوف من الله، وخُصَّ المنصب والجمال لشِّدة رغبة الناس فيهما وحرصهم عليهما وصعوبة حصولهما.

السادس: وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لاَ تَعْلَمُ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُه: والمقصود من ذلك هو المبالغة في الإخفاء والاستتار بالصدقة عند بذلها، بحيث لا تعلم الشمال بما تصدَّقت اليمين مع قُربها وملازمتها له، فضرب المثال هنا لبيان المبالغة في الإخفاء وطلب الإخلاص، وليس المراد ظاهر المثال بأن يُخفي شماله عند بذْل يمينه للصدقة، وقوله: تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ؛ جاءت نكرة لتفيد العموم، فيشمل كُلَّ ما يُتصدَّق به من قليلٍ أو كثيرٍ، وفي صدقة السِّرِّ خيرٌ عظيمٌ، فإنَّ صدقة السِّرِّ أقربُ إلى الإخلاص وأبعدُ عن الرياء، وفي صدقة السِّرِّ مراعاةٌ لحال الفقير واحترامٌ لشعوره لا سيَّما المتعفِّف منهم.

السابع: وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ: أي سالتْ دموع عينيه، وفي إيراد هذه الخصلة فضْل البكاء من خشية الله تعالى، أو شوقًا لما عند الله . وأعظمه النظر إلى وجهه الكريم، وللبكاء عند ذكر الله تعالى فضلٌ عظيمٌ، فعَند الترمذي عن ابْنِ عَبَّاسٍ- رضي الله عنهما- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"(١).

والخلاصة: أنَّ يوم القيامة ليس فيه ظِلٌّ إلَّا ظل الله، لا أشجار، لا استراحات، لا صالات، لا مُكيِّفات، الشمس دانيةٌ من الرؤوس، بيننا وبينها مقدار ميل، فعلى المسلم أن يبادر إلى أبواب الخير والبِرِّ والطاعات؛ حتَّى يأتي آمنًا يوم القيامة، وفي ظِلِّ عرش الملِك سبحانه وتعالى.

وقد نظم العلَّامة أبو شامة هؤلاء السبعة فقال:

وقال النبيُّ المصطفى إنَّ سبعةً ... يُظلُّهم اللهُ الكريمُ بظلِّهِ
مُحبٌ عفيفٌ ناشئٌ مُتصدِّقٌ ... وباكٍ مُصلٍ والإمامُ بعدلِهِ

ثم زاد الإمام ابن حجر بَيتَينِ ذَكَرَ فيهما سبعة آخرين فقال:

وَزِدْ سبعةً: إظلالُ غازٍ وعَوْنُه ... وإنْظارُ ذي عُسْر وتخفيفُ حِمْلِهِ
وإرفادُ ذي غُرْمٍ وعَونُ مُكاتَبٍ ... وتَاجِرُ صِدْقٍ في المقالِ وفعلِهِ(٢)

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ١٧٥) برقم (١٦٣٩) أبواب فضائل الجهاد. باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سُنن الترمذي (٤/ ١٣٩).

(٢) يُنظَر هذه الأبيات التي لأبي شامة مع الزيادات للحافظ ابن حجر في فتح الباري لابن حجر (٢/ ١٤٣- ١٤٤).



٢٣ ربيع الأول

واعبدْ ربَّك حتَّى يأتيك اليقين

يمتازُ دِينُنا الحَنِيفُ أنَّهُ دَائِمُ الصِّلَةِ باللهِ تعالى؛ فلا يَنفكُّ المسلِمُ عن ربِّهِ بمُجَرَّدِ ذَهابِ شَعِيرةٍ أدَّاها، بل يَظَلُّ الإسلامُ مُلازمًا لكَ في كلِّ أوقاتِكَ وأحوالِكَ، في بيتِكَ وسُوقِكَ وعمَلِكَ، في شعبان ورمضان وشوَّال، وَفي كلِّ زمانٍ ومَكَانٍ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١].

فالواجب على الإنسان أن يكون عبدًا لله في أقواله وأفعاله، وحركاته وسكناته، وفي كلِّ شأنٍ مِن شؤون حياته، يتحرَّى صحَّة العمل وإخلاص العبودية لله تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[٢].

والطاعة بالنسبة للمؤمن كالماء للسمك وكالهواء للإنسان، فلا تُتصوَّر حياة حقيقيَّة في غيبة معاني الإيمان والعمل الصالح ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[٣]وقال سبحانه أيضًا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٤].

بل هو إذا ما حيل بينه وبين طاعة ربِّه يحزن ويُشفق على نفسه، حتَّى وإن كان معذورًا كحالة السبعة الذين أرجعهم النبي ﷺ من غزوة تبوك، رجعوا وهم يبكون، فذَكَر ربُّنا حالتهم ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾[٥].

يقول عروة بن الزبير- رضي الله عنهما-: إذا رأيتَ الرجل يعمل بطاعة الله فاعلمْ أنَّ لها عنده أخوات، وإذا رأيتَ الرجل يعمل بمعصية الله فاعلم أنَّ لها عنده أخوات، فإنَّ الطاعة تدلُّ على أختها، وإنَّ المعصية تدلُّ على أختها[٦] ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[٧].

---

(١) الأنعام: ١٦٢.

(٢) الكهف: ١١٠.

(٣) الأنعام: ١٢٢.

(٤) الشورى: ٥٢.

(٥) التوبة: ٩٢.

(٦) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٠١). الكتاب المصنَّف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقِّق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ.

(٧) الليل: ٥-١٠.



ولذلك فالمؤمن الكيّس الفطن هو الذي ينتقل من طاعة إلى طاعة، ومن عبادة إلى عبادة، رائده في ذلك قول الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾(١) واليقين هو الموت، ومعنى الآية: لا تنفك عن طاعة الله، ولا تفارق هذا حتَّى تموت، وهذا كما قال عيسى ابن مريم- عليه السلام-: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾(٢).

قال الشيخ السعدي: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ أي: الموت أي: استمر في جميع الأوقات على التقرُّب إلى الله بأنواع العبادات، فامتثَّل ﷺ أمر ربّه، فلم يزل دائبًا في العبادة، حتَّى أتاه اليقين من ربّه ﷺ تسليمًا كثيرًا(٣).

وبعض الناس يُقبِلون على العبادة والطاعة في بعض المواسم كرمضان وأشباهه، ثم إذا انقضى موسم الطاعة؛ ترك العبادة ونسي الطاعة؛ كَمَا حَذَّرَ اللهُ مِن ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾(٤).

قالَ الشَّيخُ السَّعديُّ رَحِمهُ اللهُ: فلا تَتَّصِفوا بِأَسوإِ الأَمثَالِ وأَقبَحِها وأَدَلِّها على سَفَهِ مُتَعَاطِيها، كَمَنْ تَغزِلُ صُوفًا قَوِيًّا، فَإِذَا استَحكَمَ وَتَمَّ نَقَضَتْهُ فَفَكَّكَتْهُ! فَتَعِبَتْ في غَزْلِهِ ثُمَّ على نَقْضِهِ، ولمْ تَستَفِدْ سِوى الخَيبَةِ والعَناءِ ونَقْصِ الرَّأيِ والعَقلِ(٥).

واليقين هو الموت، فقد روى البخاري من حديث أُمِّ العلاء الأنصاريَّة- رضي الله عنها- وكانت من المبايعات، وكانت قد قالت حينما مات عثمان بن مظعون- رضي الله عنه-: شهادتي عليه أنَّ الله أكرمه، فقال رسول الله ﷺ: أمَّا عثمان فقد جاءه اليقين من ربِّه، وإنِّي لأرجو له الخير، واللهِ ما أدري- وأنا رسول الله- ما يُفعل بي(٦).

وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول: ما رأيتُ يقينًا أشبهَ بالشكِّ من يقين النَّاس بالموت، ثم لا يستعدُّون له- يعني: كأنَّهم فيه شاكون-(٧).

---

(١) الحجر: ٩٩

(٢) مريم: ٣١.

(٣) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٣٥).

(٤) النحل: ٩٢.

(٥) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٤٨).

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٣/١٨١) برقم (٢٦٨٧) كتاب الشهادات. باب القرعة في المشكلات.

(٧) ذكره عنه القرطبي في تفسيره (١٠/ ٦٤).



ولكنَّ كثيرًا من الناس يُقبِلون على الطاعة ثم يتركونها بعد فترة، والنبي ﷺ أنكر على أناسٍ كانوا يجتهدون في الطاعات ثم تقاعسوا عنها، فقد قال ﷺ كما في الصحيحَينِ لعبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- ناصحًا له: لا تكنْ كفُلانٍ، كان يقوم من الليل ثم تركه(١).

وكانت عائشة تصف عبادة النبي ﷺ كما في مسلم: بأنَّه كان يحرص على الطاعة، فإن فاتَه مِن حزبه شيءٌ؛ صلَّى في النهار ثنتي عشرة ركعة(٢).

وإنَّ ممَّا يُعينُ الإنسان على طاعة الله تعالى والمداومة عليها:

١- الدعاء فهو سببٌ للتوفيق، وهو يصطرع في السماء مع البلاء، ولا يردُّ القدر إلَّا الدعاء، ولذلك على الإنسان أن يحرص على دعاء الله سبحانه وتعالى الاستقامة والتوفيق والثبات، وكان النبي ﷺ يُكرِّر ذلك فكان يقول:" اللَّهُمَّ يا مُصرِّف القلوب؛ صرِّفْ قلوبنا على طاعتك" رواه مسلم(٣). ويقول أيضًا:" اللَّهُمَّ يا مُقلِّب القلوبِ؛ ثبِّتْ قلوبنا على دينك" رواه الترمذي والنسائي(٤).

٢- ملازمة أهل الخير، لأنَّهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ (٥)، وقال رسول الله ﷺ في فضل الصحبة الصالحة:" المرءُ على دينِ خليلِه؛ فلْينظرْ أحدُكم مَن يُخالِلُ" رواه أحمد وأبو داود والترمذي(٦).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/٥٤) برقم (١١٥٢) كتاب التهجُّد. باب ما يُكره مَن ترَك قيام الليل لمن كان يقومه. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨١٤) برقم (١١٥٩) كتاب الصيام. باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرَّر به أو فوَّت حقًّا.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥١٣) برقم (٧٤٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب جامع صلاة الليل ومَن نام عنه أو مرض.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٥) برقم (٢٦٥٤) كتاب القدر. باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٥٣٨) برقم (٣٥٢٢) أبواب الدعوات. باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ١٥٦) برقم (٧٦٩٠) قوله ﴿ولِتُصنعَ على عيني﴾ كتاب النعوت. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ٢٢).

(٥) الكهف: ٢٨.

(٦) رواه أحمد في مسنده (١٤/١٤٢) برقم (٨٤١٧). وأبو داود في سننه (٤/٢٥٩) برقم (٤٨٣٣) كتاب الأدب. باب مَن يُؤمَر أن يُجالس. والترمذي في جامعه (٤/ ٥٨٩) برقم (٢٣٧٨) أبواب الزهد. باب بدون ترجمة. والحديث حسَّنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ٣٧٨).



٣- أن يعلم الإنسان أنَّ الموت قريب، وأنَّه يمكن أن يموت على أيِّ حالٍ من الأحوال، فعليه أن لا يكون على حالٍ لا يُحِبُّ أن يأتيه الموت عليه، فالموت سيأتيه راغمًا لا يستطيع ردَّه: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[١].

٤- التفكُّر في آثار الطاعات الحميدة؛ مِن راحة القلب، وطمأنينة النفس، وسعة الرزق، وتيسير الأمور، والتفكُّر في عواقب المعاصي القبيحة المذمومة؛ من ظُلمة الوجه، وسواد القلب، وضيق الرزق، وتعسير الأمور، وغير ذلك.

٥- لزوم ذِكْر الله تعالى، ومجاهدة النفس على فعْل العبادات، والتقرُّب بعد الفرائض بنوافل العبادات؛ فإنَّ مَن لا يزال كذلك ينال درجة المحبَّة من الله تعالى، حتَّى يكون سبحانه هو سمعه الذي يسمَع به، وبصره الذي يُبصِر به، ويده التي يبطِش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سأله ليُعطينَّه، ولئن استعاذه ليُعيذنَّه، كما ثبت في الحديث القدسي الصحيح[٢].

والخلاصة: أن يُطيع المسلمُ ربَّه حتَّى آخر لحظات حياته، ولا يتوانى أبدًا عن طاعةٍ أو قُربةٍ، وأن يعمل بطاعة الله جاهدًا حتَّى يختم له بطاعةٍ، فقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أنَّ مَن عاش على شيءٍ مات عليه، ومَن مات على شيءٍ بُعِث عليه.

---

(١) الأعراف: ٣٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٥) برقم (٦٥٠٢) كتاب الرقاق. باب التواضع.



٢٤ ربيع أول

إصلاح ذات البَين

إنَّ إصلاح ذات البَين شُعبةٌ إيمانيَّةٌ، وشِرعةٌ إسلاميَّةٌ، وعبادة جليلة، وخُلُقٌ جميلٌ، يُحِبُّه الله ورسوله ﷺ، وهو خيرٌ كلُّه ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾(١)، وبالإصلاح تكون الأُمَّة وحدةً متماسكةً، يسعى بعضها في إصلاح بعض، والإصلاح عنوان الإيمان بين الإخوة ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾(٢)، وإذا فقد الإصلاح هلكت الشعوب والأمم، وفسدت البيوت والأسر، وتبدَّدت الثروات، وانتُهكت الحُرُمات، وعمَّ الشرُّ القريب والبعيد.

ومن عظيم بركة الربِّ سبحانه وتعالى ومن كريم عفوه ورحمته؛ أنَّه يُصلِح بين المؤمنين يوم القيامة، عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال:" بينا رسول الله ﷺ جالسٌ إذ رأيناه ضحك حتَّى بدتْ ثناياه، فقال له عمر: ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ فقال: رجُلانِ من أُمَّتي جثيا بين يدي ربِّ العِزَّة، فقال أحدهما: يا ربِّ؛ خُذْ لي مظلمتي من أخي، فقال الله تبارك وتعالى للطالب: فكيف تصنع بأخيك ولم يبقَ من حسناته شيءٌ؟ قال: يا ربِّ؛ فلْيحملْ مِن أوزاري، قال: وفاضتْ عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال: إنَّ ذاك اليوم يحتاج الناس إلى مَن يحمل عنهم من أوزارهم، فقال الله تعالى للطالب: ارفعْ بصرك فانظر في الجنان، فرفع رأسه فقال: يا ربِّ؛ أرى مدائن من ذهب، وقصورًا من ذهبٍ مُكللة باللؤلؤ، لأيِّ نبيٍّ هذا؟ أو لأيِّ صِدِّيقٍ هذا؟ أو لأيِّ شهيدٍ هذا؟ قال: هذا لمِن أعطى الثمن، قال: يا ربِّ؛ ومَن يملك ذلك؟ قال: أنتَ تملكُه، قال: بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا ربِّ؛ فإنِّي قد عفوتُ عنه، قال الله عزَّ وجلَّ: فخُذْ بيد أخيك فأدخِلْه الجنَّة، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: اتَّقوا الله وأصلِحوا ذاتَ بَينِكم، فإنَّ الله يُصلِح بين المؤمنين. رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد(٣).

---

(١) النساء: ١٢٨.

(٢) الحجرات: ١٠.

(٣) رواه الحاكم في المستدرَك على الصحيحين (٥/ ٤٠) برقم (٨٧٨١). والحديث قال عنه الألباني:" ضعيف جدًّا" كما في ضعيف الترغيب والترهيب (٢/ ١٣٦- ١٣٧). ضَعيفُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، المؤلف: محمد ناصر الدِّين الألباني، الناشر: مكتَبة المعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.



ولقد كان النبي ﷺ يسعى في الإصلاح بين الأفراد والجماعات والقبائل والأقارب، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ:" اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ" رواه البخاري[١].

ويسعى بالصلح بين الأزواج والزوجات؛ فقد جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ فَقَالَ:" أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟ قَالَت: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ: انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟ فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ وَأَصَابَهُ تُرَابٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ" رواه البخاري ومسلم[٢].

ويسعى كذلك في الصلح بين المتداينين؛ فعن كَعْبٍ بن مالك- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّه تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ فَنَادَى كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ فَقَالَ: يَا كَعْبُ، فَقَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّه، فَأَشَارَ بِيَدِهِ أَنْ ضَعْ الشَّطْرَ، فَقَالَ كَعْبٌ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" قُمْ فَاقْضِهِ" رواه البخاري ومسلم[٣].

قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٦].

قال الشيخ العلّامة السعدي رحمه الله: ﴿أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ والإصلاح لا يكون إلّا بين متنازعين متخاصمين، والنزاع والخصام والتغاضب يوجب من الشّرّ والفرقة ما لا يمكن حصره، فلذلك

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٨٣) برقم (٢٦٩٣) كتاب الصلح. باب قول الإمام لأصحابه: اذهبوا بنا نُصلِح.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٩٦/١) برقم (٤٤١) كتاب الصلاة. باب نوم الرجال في المسجد. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٤) برقم (٢٤٠٩) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٩٩/١) برقم (٤٥٧) كتاب الصلاة. باب التقاضي والملازمة في المسجد. ومسلم في صحيحه (٣/ ١١٩٢) برقم (١٥٥٨) كتاب المساقاة. باب استحباب الوضع من الدَّين.

(٤) البقرة: ١٨٢.

(٥) البقرة: ٢٢٤.

(٦) النساء: ١١٤.



حثَّ الشارع على الإصلاح بين الناس في الدماء والأموال والأعراض، بل وفي الأديان كما قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾[٣]، والساعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القانت بالصلاة والصيام والصدقة، والمصلِح لا بدَّ أن يُصلِح الله سعيه وعمله، كما أنَّ الساعي في الإفساد لا يُصلِح الله عمله ولا يتمُّ له مقصوده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[٤]، فهذه الأشياء حيثما فُعِلتْ فهي خيرٌ، كما دلَّ على ذلك الاستثناء، ولكنَّ كمال الأجر وتمامه بحسب النِّيَّة والإخلاص، ولهذا قال: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[٥]، فلهذا ينبغي للعبد أن يقصد وجه الله تعالى، ويُخلص العمل لله في كُلِّ وقتٍ، وفي كُلِّ جزءٍ من أجزاء الخير، ليحصل له بذلك الأجر العظيم، وليتعوَّد الإخلاص فيكون من المخلِصين، وليتمَّ له الأجر، سواء تمَّ مقصوده أم لا، لأنَّ النِّيَّة حصلت واقترن بها ما يُمكن من العمل[٦].

إنَّ المكارمَ كلَّها لو حصلتْ ... رجعتْ جُملتُها إلى شيئَينِ
تعظيمُ أمرِ اللهِ جلَّ جلالُهُ ... والسعيُ في إصلاحِ ذاتِ البَينِ[٧]

وقال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾[٨].

قال الشيخ ابن العثيمين رحمه الله: لا صلح مع المشاحة، يعني أنَّ الإنسان إذا أراد أن يُعامِل أخاه بالمشاحة، فإنَّه لا يمكن الصُّلحُ، كما قال تعالى: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾[٩]،

---

(١) آل عمران: ١٠٣.
(٢) الحجرات: ٩.
(٣) النساء: ١٢٨.
(٤) يونس: ٨١.
(٥) النساء: ١١٤.
(٦) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٢٠٢).
(٧) الأبيات لمحمد بن أيمن الرهاوي كما ذكره في يتيمة الدهر (٥/ ٤٠). يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقِّق: د. مفيد محمد قمحية، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م.
(٨) النساء: ١٢٨.
(٩) النساء: ١٢٨.



يشير إلى أنَّ الصلح ينبغي للإنسان أن يبتعد فيه عن الشُّحِّ، وأن لا يُطالِبَ بكامِلِ حقِّه؛ لأنَّه إن طالَبَ بكامِلِ حقِّه؛ طالب الآخرُ بكامِلِ حقِّه، ولم يحصل بينهما صُلحٌ؛ بل لا بدَّ أن يتنازل كُلُّ واحدٍ منهم عن بعض حقِّه[١].

والخلاصة: أنَّ الشقاق والخلاف من أخطر أسلحة الشيطان الفتَّاكة؛ الَّتي يوغر بها صدور الخلْق، لينفصلوا بعد اتِّحادٍ، ويتنافروا بعد اتِّفاقٍ، ويتعادوا بعد أُخُوَّة، وقد اهتمَّ الإسلام بمسألة احتمال وقوع الخلاف بين المؤمنين وأخذها بعين الاعتبار؛ وذلك لأنَّ المؤمنين بَشَرٌ يُخطئون ويُصيبون، ويعسر أن تتَّفق آراؤهم، أو تتوحَّد اتِّجاهاتهم دائمًا، ولهذا عالج الإسلام مسألة الخلاف على اختلاف مستوياتها بدءًا من مرحلة المشاحَنة والمجادَلة، ومرورًا بالهجر والتباعُد، وانتهاءً بمرحلة الاعتداء والقتال، والإسلام دينٌ يتشوَّفُ إلى الصُّلح، ويسعى له، ويُنادي إليه، وليس ثمَّة خطوة أحبَّ إلى الله عزَّ وجلَّ من خطوة يُصلِح فيها العبد بين اثنين، ويُقرِّب فيها بين قلبين، فبالإصلاح تكون الطمأنينة والهدوء، والاستقرار والأمن، وتتفجَّر ينابيع الأُلفة والمحبَّة.

---

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٣٦). شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، طبعة ١٤٢٦هـ.



٢٥ ربيع أول

إنَّما أموالكم وأولادكم فتنة

إنَّ المال والأولاد نعمةٌ من أجَلِّ نعم الله على العباد؛ إذا وُظِّفت في طاعة الله سبحانه وتعالى، وسُخِّرت لخدمة دين الله، وأُنفقت في مرضات الله سبحانه وتعالى، فإنَّ هذه الحياة الدنيا التي خلقها الله لنا قائمة على متاع الحياة الدنيا، من أزواج وأولاد وأموال وزينة وشهوات، فهنيئًا لمن استخدمها في طاعة ربِّ الأرض والسماوات، وتعسًا لمن وقع فيها فغرق، فلم يفز إلَّا بغضب الله سبحانه وتعالى.

قَالَ الله سبحانه وتَعالَى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾(١)، وقال سبحانه- مُبيِّنًا أنَّ الذين تُحِبُّهم لعلَّهم أعداؤك، والذين تحتضنهم وتؤويهم ربما يكونون فتنةٌ لك-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(٢).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ- رضي الله عنهما- أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ﴾(٣)، قَالَ: هَؤُلَاءِ رِجَالٌ أَسْلَمُوا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَأَرَادُوا أَنْ يَأْتُوا النَّبِيَّ ﷺ فَأَبَى أي رفض أَزْوَاجُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ أَنْ يَدعُوهُمْ يَأْتُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ فيما بعد رَأَوْا النَّاسَ الذين سبقوا في الهجرة، قَدْ فَقُهُوا فِي الدِّينِ، فَهَمُّوا أَنْ يُعَاقِبُوهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٤)(٥)، وقال الشنقيطي رحمه الله: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(٦)، أمر الله سبحانه وتعالى الناس في هذه الآية الكريمة أن يعلموا أنَّ أموالهم وأولادهم فتنة

---

(١) طه: ١٣١.

(٢) التغابن: ١٤، ١٥.

(٣) التغابن: ١٤.

(٤) التغابن: ١٤.

(٥) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٤١٩) برقم (٣٣١٧) أبواب تفسير القرآن. باب ومن سورة التغابن. والأثر حسَّنه الألباني كما في صحيح وضعيف سُنن الترمذي (٧/ ٣١٧).

(٦) الأنفال: ٢٨.



يُختبَرون بها، هل يكون المال والولد سببًا للوقوع فيما لا يُرضِي الله؟ وزاد- سبحانه وتعالى- في مواضع أُخر أنَّ الأزواج فتنة، فصارت الفتنة في ثلاث: الأموال والأولاد والأزواج؛ فأمر الإنسان بالحذر منهم أن يُوقِعوه فيما لا يُرضِي الله(١).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:"إِنَّ فِي مَالِ الرَّجُلِ فِتْنَةً، وَفِي زَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ فِتْنَةً" رواه الطبراني(٢).

وقال سبحانه وتعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾(٣)، والمراد بالفتنة في هذه الآيات- فتنة الأموال والأزواج والأولاد-، إنَّما هو: الاختبار والابتلاء، وهو أحد معاني الفتنة في القرآن.

والله قد خلَق زينة الدنيا فتنة واختبارًا للناس قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا﴾(٤)، فمَن أخذها بحقِّها وأنفقها في حقِّها وقام بدينه نجا في الآخرة، ومن أخذها من غير حقِّها وصرَّفها في غير حقِّها وترك دينه لأجلها هلك في الآخرة، والناس في فتنتها ما بين مُقِلٍّ ومُستكثِر، والموفَّق مَن حماه الله مِن فتنتها، وقد بيَّنَ النبي ﷺ أنَّ الله مُبتلينا بزينة الدنيا ليختبر إيماننا فقال ﷺ:" إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كيفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ" رواه مسلم(٥).

وَعَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ- رضي الله عنه- قَالَ:" كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُنَا على المنبر إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ- رضي الله عنهما- عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ، يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَان، من بين الصفوف فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ الْمِنْبَرِ فَقَطَعَ كَلَامَهُ، فَحَمَلَهُمَا ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمِنْبَرِ، وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٥١). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت– لبنان، عام النشر: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ١٦٩) برقم (٣٠٢٤). والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٤٢٨).

(٣) المنافقون: ٩.

(٤) الكهف: ٧.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٨) برقم (٢٧٤٢) كتاب الرقاق. باب أكثر أهل الجنَّة الفقراء، وأكثر أهل النَّار النِّساء وبيان الفتنة بالنِّساء.



قَالَ: صَدَقَ اللهُ ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾(١)، يقول ﷺ: نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فِي قَمِيصَيْهِمَا، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا" رواه الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه(٢).

قال العلَّامة السعدي: لما كان العبد مُمتحَنًا بأمواله وأولاده؛ فربَّما حمله محبَّة ذلك على تقديم هوى نفسه على أداء أمانته، فأخبر الله تعالى أنَّ الأموال والأولاد فتنة، يبتلي الله بهما عباده، وأنَّها عاريةٌ ستُؤدَّى لمن أعطاها، وتُردُّ لمن استودعها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾(٣)، فإن كان لكم عقلٌ ورَأْيٌ؛ فآثِروا فضْله العظيم على لذَّةٍ صغيرةٍ فانيةٍ مُضمحِلةٍ، فالعاقل يُوازن بين الأشياء، ويُؤثِر أولاها بالإيثار، وأحقَّها بالتقديم(٤).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: في تعليقه على حديث" إنَّ الولدَ مَبخلةٌ مَجبنةٌ" رواه أحمد وابن ماجه(٥): أي إذا نادى منادي الجهاد يقولون له: انتظر إلى أين ستذهب؟ إنَّ لديك أولادًا صغارًا، فمَن سيُربِّيهم؟ مع أنَّ هؤلاء الأولاد هم الذين سيُدمِّرونه ويُضيِّعونه، فهو لن يطلب العلم بسبب العيال، ولن يُجاهد حتَّى يُجاهد في العيال، فالولد هو سببُ كُلِّ بليَّةٍ، والذكي هو من يُعطي لكلِّ ذي حظٍّ حظَّه، ثم يدع الأمر بعد ذلك لله عزَّ وجلَّ، وكم من شخصٍ حرص كُلَّ الحرص على تربية أبنائه، ثم ما ربَّاهم في النهاية؛ لأنَّه لم يتقِ الله تبارك وتعالى فيما تعيَّن عليه هو أوَّلًا، بل جعل كُلَّ همِّه في أولاده، وليست هذه دعوة لترك الأولاد والتفريط في حقِّهم، أبدًا، بل هذا ممَّا قد تعيَّن عليك، ولكنَّه تعيَّن بقدْرٍ، فينبغي ألَّا تزيد عليه ولا أن تنقص منه(٦).

---

(١) التغابن: ١٥.

(٢) رواه بهذا اللفظ الترمذي في جامعه (٥/٦٥٨) برقم (٣٧٧٤) أبواب المناقب. باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ٢٨٦) برقم (١٧٤٣) كتاب الجمعة. نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة وقطعه كلامه ورجوعه إليه. وقريبًا من لفظها رواه أبو داود في سننه (١/ ٢٩٠) تفريع أبواب الجمعة. باب الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث. وابن ماجه في سننه (٢/١١٩٠) برقم (٣٦٠٠). كتاب اللباس. باب لبس الأحمر للرجال. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ٢٧٤).

(٣) الأنفال: ٢٨.

(٤) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٣١٩).

(٥) رواه أحمد في مسنده (٢٩/١٠٤) برقم (١٧٥٦٢). وابن ماجه في سننه (٢/١٢٠٩) برقم (٣٦٦٦) كتاب الأدب. باب برِّ الوالد والإحسان إلى البنات. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٨/ ١٦٦).

(٦) يُذكَر هذا عن الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرحه لأصول اعتقاد أهل السُّنَّة، ولم أقف على كتاب الشيخ رحمه الله.



فالمال والولد والزوجة نعمةٌ تُستثمَر بطاعة الله، وإلَّا كانت وبالًا على صاحبها، فالوليد بن المغيرة كما هو مشهور عند المفسرين؛ نزل فيه قوله تعالى: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾[١]، فقد أخرجه الله من بطن أمه وحيدًا، لا مال له ولا ولد، فرزقه الله المال والولد، والثروة والنماء، ولكنَّه جنَّدَ جنوده لمحاربة دين الله سبحانه وتعالى، نعوذ بالله من الخذلان.

وصدق الشاعر إبراهيم بن عيسى أبو اليقظان حين يقول:

احفظْ صبِيَّك إنْ تُرِدْ تنجو به ... وترقَّبنَّه واسْعَ في تنجيبه

واعلمْ بأنَّ خيرَ ما تَهدِي به ... أن تبذل المجهود في تهذيبه[٢]

والخلاصة: أنَّه يجب على كُلِّ مسلمٍ أن يشكر الله على نعمه الوفيرة، ومِن شُكرِ النعمة أن يستخدمها المسلم في طاعة الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾[٣]، نسأل الله من واسع فضْله، وأن يجعلنا من أهل شُكْره، إنَّه جوادٌ كريمٌ.

(١) المدثر: ١١.

(٢) يُنظَر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (١/ ٣٠، بترقيم الشاملة آليًّا).

(٣) سبأ: ١٣.



٢٦ ربيع أول

كُلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ

إنَّ المنهمِكَ في الدنيا، المكبَّ على شهواتها وملذَّاتها؛ يغفل قلبه عن ذكر الموت فلا يذكره، وإن ذكره كرهه ونفر منه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾(٣).

قال الشيخ السعدي في تفسيره: لما كان أعداء الرسول ﷺ يقولون: تربَّصوا به ريب المنون؛ قال الله تعالى: هذا طريق مسلوك، ومعبد منهوك، فلم نجعل لبشر ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْخُلْدَ﴾ في الدنيا، فإذا متَّ فسبيلُ أمثالِكَ من الرسل والأنبياء والأولياء وغيرهم ﴿أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ أي: فهل إذا متَّ خُلِّدُوا بعدك، فليهنهم الخلود إذًا إن كان، وليس الأمر كذلك، بل كُلُّ مَن عليها فانٍ، ولهذا قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ وهذا يشمل سائر نفوس الخلائق، وإنَّ هذا كأسٌ لا بُدَّ من شُرْبه وإن طال بالعبد المدى، وعُمِّرَ سنين، ولكنَّ الله تعالى أوجد عباده في الدنيا، وأمرهم ونهاهم، وابتلاهم بالخير والشَّرِّ، بالغنى والفقر، والعزِّ والذُّلِّ، والحياة والموت، فتنة منه تعالى ليبلوهم أيُّهم أحسنُ عملًا، ومَن يُفتتَن عند مواقع الفتن، ومن ينجو، ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ فنجازيكم بأعمالكم، إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(٤).

وأمَّا العارف بربِّه فإنَّه يذكر الموت دائمًا، أخذًا بوصية رسول الله ﷺ عندما قال:" أكثِروا ذِكْرَ هادم اللَّذَّات- يعني الموت-" رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه(٥).

---

(١) الجمعة: ٨.

(٢) النساء: ٧٨.

(٣) الأنبياء: ٣٥.

(٤) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٥٢٣).

(٥) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٥٥٣) برقم (٢٣٠٧) أبواب الزهد. باب ما جاء في ذِكْر الموت. والنسائي في السنن الكبرى (٣٧٩/٢) برقم (١٩٦٣) كثرة ذِكْر الموت. وابن ماجه في سننه (١٤٢٢/٢) برقم (٤٢٥٨) كتاب الزهد. باب ذِكْر الموت والاستعداد. والحديث قال عنه الألباني:" حسن صحيح" كما في صحيح وضعيف سُنن الترمذي (٥/ ٣٠٧).

وعن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنَّه قال:" جاء رجلٌ من الأنصار فسلَّم على النبي ﷺ ثم قال: يا رسول الله؛ أيُّ المؤمنين أفضل؟ قال: أحسنُهم خُلُقًا، قال: فأيُّ المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرُهم للموت ذِكْرًا، وأحسنهم لما بعده استعدادًا، أولئك الأكياس" رواه ابن ماجه(١).

قال الحسن البصري- رحمه الله-: فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي لُبٍّ فيها فرحًا(٢)، وما ألزم عبدٌ قلبَه ذكر الموت إلَّا صغُرت الدنيا عليه، وهان عليه جميع ما فيها(٣).

لا طيبَ للعيشِ ما دامتْ مُنغَّصةً   لذاتُهُ بادِّكار الموتِ والهرمِ(٤)

وقال عمر بن عبد العزيز- رحمه الله-: إذا غفل قلبي عن ذكْر الموت ساعة فسد، وقال بعضهم: مَن أكثر ذكْر الموت أُكرِم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومَن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترْك الرضا بالكفاف، والكسل في العبادة(٥).

وذكْر الموت يُحدِث في القلب رجفة، ومن أسماء الموت: المنون، الحتف، الحِمام، السام، الوفاة، الردى، الهلاك.

والموت له سكرات وكربات، وهي تعتري كُلَّ مخلوقٍ، وقد يُهوِّنها الله على بعض عباده، وقد تُشدَّد على بعض العباد تخفيفًا من الذنوب، ورحمة وزيادة في الدرجات، كالأنبياء، وفي مُقدَّمتهم خاتمهم محمد بن عبد الله ﷺ، فإنَّه قد لقي من الموت شدَّة، وهو أحبُّ الخلْقِ إلى الله.

ففي صحيح الإمام البخاري من حديث عائشة- رضي الله عنها- قالت: كان بين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يُدخِل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، ويقول: لا إله إلَّا الله، إنَّ للموت سكراتٍ، ثم نصب يده فجعل يقول: في الرفيق الأعلى. حتَّى قُبِض ومالتْ يده(٦).

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه (١٤٢٣/٢) برقم (٤٢٥٩) كتاب الزهد. باب ذكْر الموت والاستعداد له. والحديث حسَّنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ٢٥٩).

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ١٤٩).

(٣) ذكره أبو العباس ابن قدامة في مختصر منهاج القاصدين (ص: ٣٨٣). مُخْتَصَر مِنْهَاجِ القَاصِدِينْ، المؤلف: نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٩هـ)، قدَّم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان، الناشر: مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق، عام النشر: ١٣٩٨ هـ- ١٩٧٨ م.

(٤) البيت من الشواهد النحوية. ذكره ابن عقيل في شرحه على ألفيَّة ابن مالك (١/ ٢٧٤). شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك، المؤلف: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٧٦٩هـ)، المحقِّق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث- القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة: العشرون ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

(٥) يُنظَر: الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة (٣/ ٧٦٨). الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة، المؤلف: أمين بن عبد الله الشقاوي، الناشر: [بدون] الطبعة: جـ ١ - ٣ / الثامنة، ١٤٣٤ هـ- ٢٠١٣ م.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (١٣/٦) برقم (٤٤٤٩) كتاب المغازي. باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

وحينما ثقُلَ النبي ﷺ جعل يتغشَّاه، فقالت فاطمة- رضي الله عنها-: واكربَ أباه، فقال لها:" ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم" رواه البخاري(١).

حتَّى إنَّه مِن شدَّة كربه قال:" هريقوا عليَّ مِن سبْعِ قُرَبٍ، لم تحلل أوكيتهن، لعلِّي أعهد إلى الناس" رواه البخاري(٢).

وكان كلَّما اغتسل ﷺ وهمَّ بالصلاة مع الناس يُغمى عليه- ثلاث مرَّات- وتقول عائشة- رضي الله عنها-:" مات النبي ﷺ وإنَّه لبَيْنَ حاقنتي وذاقنتي، فلا أكره شدَّة الموت لأحدٍ أبدًا بعد النبي ﷺ" رواه البخاري(٣).

وتُشدَّد هذه السكرات على الكُفَّار، وكذلك على عصاة المسلمين، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾(٥).

وحقٌّ على كُلِّ إنسانٍ أن يستعدَّ للموت قبل نزوله، وذلك بالمبادرة بالعمل الصالح قبل حلول الأجل، لقد حثَّنا ربُّنا- عزَّ وجلَّ- أعظم الحثِّ، ودعا إلى اغتنام الفرص في زمن المهلة، وأخبرنا أنَّ مَن فرَّط في ذلك تمنَّاه، وقد حيل بينه وبينه، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٧).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٥/٦) برقم (٤٤٦٢) كتاب المغازي. باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥٠/١) برقم (١٩٨) كتاب الوضوء. باب الغسل والوضوء في المخضب والقدح والخشب والحجارة.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١٢/٦) برقم (٤٤٤٦) كتاب المغازي. باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

(٤) الأنعام: ٩٣.

(٥) الأنفال: ٥٠.

(٦) المؤمنون: ٩٩ — ١٠٠.

(٧) المنافقون: ٩ — ١٠.



روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال:" كُنْ في الدنيا كأنَّكَ غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ"، وكان ابن عمر- رضي الله عنهما- يقول:" إذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وخُذْ مِن صحَّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك"(١). وفي رواية للترمذي:" وعُدَّ نفسك من أهل القبور، فإنَّك لا تدري يا عبد الله ما اسمُك غدًا"(٢).

والخلاصة: أنَّ الموت هو الحقيقة التي لا يُمكن لأحدٍ أن يُنكرها، فقد أنكر البعض وجود الله تعالى، وأنكر آخرون البعث، وغيرهما من الحقائق القطعيَّة التي لا شكَّ فيها، أمَّا الموت فلا يُمكن إنكاره. قال تعالى عن المشركين: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾(٣). وقال أيضًا: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾(٤)، وفلسفة هؤلاء للحياة أنَّها بطونٌ تدفع، وأرضٌ تبلع، فلا بعثَ ولا مرجعَ.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/٨٩) برقم (٦٤١٦) كتاب الرقاق. باب قول النبي ﷺ: كُنْ في الدنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٥٦٧) برقم (٢٣٣٣) أبواب الزهد. باب ما جاء في قِصَر الأمل. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ٣٣٣).

(٣) الأنعام: ٢٩.

(٤) الجاثية: ٢٤.



٢٧ ربيع أول

ألَا فزوروها فإنَّها تُذكِّركم الآخرة

إنَّ ذكْر الموتِ وزِيارة الموتَى والقُبورِ تُذَكِّرُ بالآخرَةِ وَبالنِّهايةِ المحتومةِ لكُلِّ إنسانٍ، وذَلك يُحَفِّزُ على عمَلِ الخيرِ والسَّعيِ إليه، وقد قال تعالى في سورة التكاثر: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[١].

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره: يقول تعالى مُوبِّخًا عباده عن اشتغالهم عمَّا خُلقوا له من عبادته وحده لا شريك له، ومعرفته، والإنابة إليه، وتقديم محبَّته على كُلِّ شيءٍ: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ﴾ عن ذلك المذكور ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ولم يذكر المتكاثَر به، ليشمل ذلك كُلَّ ما يتكاثر به المتكاثرون، ويفتخر به المفتخرون، من التكاثر في الأموال، والأولاد، والأنصار، والجنود، والخدم، والجاه، وغير ذلك مما يُقصَد منه مكاثرة كُلِّ واحدٍ للآخر، وليس المقصود به الإخلاص لله تعالى، فاستمرَّتْ غفلتكم ولهوتكم وتشاغلكم ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ فانكشف لكم حينئذ الغطاء، ولكن بعد ما تعذَّر عليكم استئنافه، ولهذا توعَّدهم بقوله: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: لو تعلمون ما أمامكم علمًا يصل إلى القلوب، لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة[٢].

روى الحاكم في المستدرك وأصله في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ قال:" كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، أَلَا فَزُورُوهَا، فَإِنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبَ، وَتَدْمَعُ الْعَيْنَ، وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ، وَلا تَقُولُوا هُجْرًا"[٣].

فهذا الحديث يدلُّ على مشروعيَّة زيارة القبور للاتِّعاظ، وتَذكُّرِ الآخرة، شريطةً ألَّا يقول عندها ما يُغضِبُ الربَّ سبحانه كدعاء المقبور، والاستغاثة به من دون الله تعالى، أو تزكيته والقطع له بالجنَّة.

---

(١) التكاثر: ١-٨.

(٢) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٩٣٣).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٥٢٦) برقم (١٣٩٤). والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٨٤١).



قال النووي رحمه الله: الهجر كلام الباطل، وكان النهي أوَّلًا لقُرْب عهدهم من الجاهلية، فربَّما كانوا يتكلَّمون بكلام الجاهلية الباطل، فلمَّا استقرَّت قواعد الإسلام، وتمهَّدت أحكامه، واشتهرت معالمه، أُبيح لهم الزيارة، واحتاط ﷺ بقوله:" ولا تقولوا هجرًا "[١].

وروى أحمد من حديث أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ قال:" إِنِّي نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا، فَإِنَّ فِيهَا عِبْرَةً، وَلا تَقُولُوا مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ"[٢].

قال الصنعاني عقب أحاديث الزيارة: الكُلُّ دالٌّ على مشروعيَّة زيارة القبور وبيان الحِكمة فيها، وأنَّها للاعتبار، فإذا خلتْ من هذه لم تكن مُرادة شرعًا[٣].

وذهب بعض أهل العلم إلى جواز زيارة القبور للرِّجال والنِّساء، فقد ورد في الصحيحَينِ من حديث أنس- رضي الله عنه- أَنّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِامْرَأَةٍ عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: اتّقِي الله، واصْبِرِي[٤].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري: وموضع الدلالة منه أنَّ النبي ﷺ لم يُنكِرْ على المرأة قعودها عند القبر، وتقريره حُجَّة[٥]، وذهب جمْعٌ من أهل العلم إلى المنع، لقوله ﷺ فيما رواه الترمذي في سُننه من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه-: لَعَنَ اللَّهُ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ[٦]، وقال بعضهم: إنَّما كره زيارة القبور للنِّساء لقِلَّة صبرهنَّ، وكثرة جزعهنَّ، وهذا ما تُفتي به اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

---

(١) المجموع شرح المهذب (٥/ ٣١٠). المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر، (طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤٢٩/١٧) برقم (١١٣٢٩). والحديث صحَّحه الألباني كما في أحكام الجنائز (١/ ١٧٩). أحكام الجنائز، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الاسلامي، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م.

(٣) سبل السلام (١/ ٥٠٢). سبل السلام، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، الناشر: دار الحديث، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٧٣/٢) برقم (١٢٥٢) كتاب الجنائز. باب قول الرجل للمرأة عند القبر: اصبري. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٣٧) برقم (٩٢٦) كتاب الجنائز. باب في الصبر على المصيبة عند أوَّل الصدمة.

(٥) فتح الباري لابن حجر (٣/ ١٤٨).

(٦) رواه الترمذي في جامعه (٣/ ٣٦٢) رقم (١٠٥٦) أبواب الجنائز. باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء ولفظه:" أنَّ رسول الله ﷺ لعن زوَّارات القبور". والحديث حسَّنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣/ ٥٦).



والمقصود من زيارة القبور شيئان: الأوَّل: انتفاع الزائر بذكْر الموت والموتى، وأنَّ مآلهم إمَّا إلى جنَّةٍ، وإمَّا إلى نارٍ، وهو الغرض الأوَّل من الزيارة كما يدلُّ عليه ما سبق من الأحاديث ، الثاني: نفع الميت والإحسان إليه بالسلام عليه، والدعاء والاستغفار له، وهذا خاصٌّ بالمسلم، وقد دلَّ على هذا الدليل؛ من ذلك ما رواه أحمد في مسنده من حديث عائشة- رضي الله عنها- أنَّ النبي ﷺ كان يخرج إلى البقيع فيدعو لهم، فسألتْه عائشة- رضي الله عنها- عن ذلك، فقال:" إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَدْعُوَ لَهُمْ "(١). وأيضًا: ما رواه مسلم في صحيحه من حديث بريدة- رضي الله عنه- قال: كان رسول الله ﷺ يُعلِّمهم إذا خرجوا إلى المقابر، فكان قائلهم يقول:" السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ الله بِكُمْ للاحِقُونَ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ "(٢).

ومن البدع والشركيَّات التي تحصل عند القبور:

١- الذبح والنحر عند القبور، وهو من أعظمها، لقوله ﷺ:" لَا عَقْرَ فِي الْإِسْلَامِ " رواه أحمد وأبو داود(٣)، قال الشيخ الألباني رحمه الله: وهذا إذا كان الذبح هناك لله تعالى، وأمَّا إذا كان لصاحب القبر كما يفعله بعض الجهال فهو شِرْكٌ صريحٌ، وأكلُه حرامٌ وفسقٌ، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾(٤). (٥)

٢- رفْع القبور زيادة على التراب الخارج منها، وفي صحيح مسلم من حديث علي- رضي الله عنه- أنَّه قال لأبي الهياج الأسدي:" ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: ألَّا تدع صورة إلَّا طمستُها، ولا قبرًا مُشرِفًا إلَّا سويتُه"(٦).

٣- القعود عليها، وفي ذلك أحاديث منها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ نَهَى أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ، أو يُزاد عليه أو يُكتب عليه(١)، لأنَّ تعظيم القبور بالبناء عليها ونحوه هو أصل شِرْك العالم.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٤٠/٤٣) برقم (٢٦١٤٩). والحديث قال عنه الألباني:" أخرجه أحمد بسندٍ صحيحٍ على شرط الشيخين" كما في أحكام الجنائز (١/ ١٨٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٦٩) برقم (٩٧٤) كتاب الجنائز. باب ما يُقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٣٣/٢٠) برقم (١٣٠٣٢). وأبو داود في سننه (٢١٦/٣) برقم (٣٢٢٢) كتاب الجنائز. باب كراهية الذبح عند القبر. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٧/ ٢٢٢).

(٤) الأنعام: ١٢١.

(٥) أحكام الجنائز (ص ٢٠٣).

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٦٦) برقم (٩٦٩) كتاب الجنائز. باب الأمر بتسوية القبور.

وغيرها من البدع والمخالفات.

أتيتُ القُبـورَ فناديتُهـا ... فأينَ المعظَّـــمُ والمحْتَقَر
وأيـنَ المـدِلُّ بسُـلْطانِهِ ... وأينَ المزكَّى إذَا مـا افْتَخَرْ
تَفـانَوا جميعًـا فمـا مُخـبِرٌ ... ومَاتُوا جميعًا ومَـــاتَ الخَبَرْ
وَصَـارُوا إلى مَالِكٍ قَـاهرٍ ... عَزِيـزٍ مُطَـاعٍ إذا مَـا أَمَـرْ
تَـرُوحُ وتغـدُو بنـاتُ الثَّرى ... فَتَمْحُو محاسنَ تلك الصُّوَرْ
فيَا سائلِي عنْ أُناسٍ مَضَوْا ... أمَا لَكَ فيما مضـى مُعتَبَرْ[٢]

والخلاصة: أنَّ زيارة القبور جائزة بضوابط يجب الالتزام بها، وإنَّما كان نَهيُ النَّبيِّ- عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ- لهم في أوَّلِ الأمرِ؛ لِقُربِ عَهدِهم بالجاهليَّةِ وما يَفعَلونه ويتَكلَّمون به مِن أُمورٍ تُخالِفُ الإسلامَ؛ مِن تَعظيمِ القُبورِ، وغيرِ ذلك، فلمَّا استَقرَّ الإسلامُ في نُفوسِهم، ومَحا آثارَ الجاهليَّةِ، وعَلِموا أحكامَ الشَّرعِ؛ أمَرَهم بزِيارتِها، فقالَ:" أَلَا فزُورُوها "، فنسَخَ حُكْمَ النَّهيِ إلى الإباحةِ والحَثِّ على الزِّيارةِ؛ وذكر علَّة الإباحة" فإنَّها تُرِقُّ القلْبَ"، أي: تَجعَلُه يخضَعُ ويَخشَعُ،" وتُدمِعُ العينَ"، أي: تُبكِيها،" وتُذكِّرُ الآخرةَ"، أي: إنَّ ثمرةَ الزِّيارةِ وعِلَّةَ إباحتِها أنَّها تُذكِّرُ بمنازلِ الآخرةِ؛ مِن وعْدٍ ووعيدٍ، وجنَّةٍ ونارٍ،" ولا تقولوا هُجْرًا"[٣]، أي: كلامًا قَبيحًا فاحِشًا، وفيهِ: أنَّ زِيارةَ القُبورِ تُذَكِّرُ بالموتِ وبالآخِرَةِ، وسَبَبٌ في رِقَّةِ القَلبِ.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٦٧) برقم (٩٧٠) كتاب الجنائز. باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه. قال الألباني:" والزيادتان لأبي داود والنسائي" أي قوله:" أو يُزاد عليه أو يُكتَب عليه". أحكام الجنائز (١/ ٢٠٤).

(٢) يُنظَر: مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن (٢/ ٣١٨). مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقِّق: مرزوق علي إبراهيم، تقديم: حماد بن محمد الأنصاري، الناشر: دار الراية، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

(٣) تقدَّم تخريجه قريبًا.



٢٨ ربيع أول

حُسْنُ الخاتِمة

في الحياة ومواقفها عِبرٌ لمِن اعتبر، وفي تقلُّب الناس وتبدُّل أحوالهم ذكرى لمِن تذكَّر، يسير الناس كُلُّ الناس في هذه الدنيا فرحين يتسابقون في دنياهم، ويلهثون وراء أمانيهم، كُلٌّ بحسبه؛ الصغير والكبير، الرجال والنساء، ترمقهم مِن حولك يجرون ويلهثون كُلٌّ يسعى لشأنه، والمعظَّم منهم قد غرق في غيِّه ولهوه، وشهوته وأمانيه، لكنَّ أعظم فوزٍ ليس الفوز باللَّذَّات الفانية، بل الفوز بلحظة السعادة حين الخاتمة.

وحُسْنُ الخاتِمة أن يموت الإنسان على عملٍ من أعمال الخير، يدلُّ على ذلك ما أخرجه الإمام أحمد عَنْ أَنَسٍ- رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟ قَالَ: يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ "[١].

إنَّ مَن كتب الله له السعادة وفاز بحُسن الخاتِمة؛ كان مِن أوَّل البشرى له في ساعة الاحتضار؛ بشرى من الملائكة الكرام حيث أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٢]، بشرى لما بعد الموت وطمأنينة لما خلف من أهل وأولاد، فإنَّ العبد الصالح إذا حضرته الوفاة ورأى البشرى بالنجاة أحبَّ لقاء الله، فيُحِبُّ الله لقاءه، ففي الصحيحين عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ- رضي الله عنه- عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ- رضي الله عنهنَّ-: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ قَالَ: لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ[٣].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٩/٢٤٦) برقم (١٢٢١٤). والحديث صحَّحه الألباني كما في ظلال الجنَّة في تخريج السُّنَّة لابن أبي عاصم (١/ ١٨٣). ظلال الجنَّة في تخريج السُّنَّة لابن أبي عاصم، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي– بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(٢) فصلت: ٣٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/١٠٦) برقم (٦٥٠٧) كتاب الرقاق. باب مَن أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٥) برقم (٢٦٨٤) كتاب الذِّكر والدُّعاء والتوبة والاستغفار. باب مَن أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه.



وهذا خير البرية ﷺ في سكرات موته كان يقول: بل الرفيق الأعلى؛ تقول السيدة عائشة- رضي الله عنها-:" إذًا لا يختارُنا" رواه البخاري ومسلم(١).

وهذا بلال- رضي الله عنه- بينما كان يعتبر بعضُ أهله أنَّ موته مُصيبةٌ وحُزنٌ ويقولون: واحزناه؛ كان يردُّ عليهم في سكرة موته: بل وافرحتاه، غدًا نلقى الأحبَّة، محمَّدًا وصحبه(٢).

ولحُسن الخاتمة علاماتٌ كثيرةٌ؛ منها:

١- النُّطق بالشهادتَين: فعَنْ مُعَاذ بْن جَبَل- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ: رَسُول اللَّه ﷺ:" مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامه لَا إِلَه إِلَّا اللَّه دَخَلَ الْجَنَّة" رواه أبو داود(٣).

٢- رشح جبينه عرقًا: لما رواه الترمذي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ- رضي الله عنه- عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ"(٤).

٣- الموت ليلة الجمعة أو نهارها: لما أخرجه أحمد والترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو- رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ"(٥).

٤- أن يموت شهيدًا في سبيل الله بأيِّ نوعٍ من أنواع الشهادة: لما رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ: إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ، قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ"(٦).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٥) برقم (٤٤٦٣) كتاب المغازي. باب آخر ما تكلَّم به النبي ﷺ. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٩٤) برقم (٢٤٤٤) كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم. باب فضل عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٢) يُنظَر: شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب (١/ ١٧١). شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حقَّقه: محمود الأرناؤوط، خرَّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

(٣) رواه أبو داود في سننه (٣/ ١٩٠) برقم (٣١١٦) كتاب الجنائز. باب التلقين. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٧/ ١١٦).

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٣/ ٣٠١) رقم (٩٨٢) أبواب الجنائز. باب ما جاء أنَّ المؤمن يموت بعرق الجبين. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٢/ ٤٨٢).

(٥) رواه أحمد في مسنده (١١/ ١٤٧) برقم (٦٥٨٢). والترمذي في جامعه (٣/ ٣٧٨) رقم (١٠٧٤) أبواب الجنائز. باب ما جاء فيمَن مات يوم الجمعة. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣/ ٧٤).

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٢١) برقم (١٩١٥) كتاب الإمارة. باب بيان الشهداء.



ولا يلزم من وقوع ذلك؛ الجزم له بأنَّه مِن أهل الجنَّة، وإنَّما يُستبشَر له بذلك، كما أنَّ عدم وقوع شيءٍ منها للميت؛ لا يلزم الحكم بأنَّه غيرُ صالحٍ، أو أنَّه قد خُتِم له بغير الصلاح.

بل يقول تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾(١).

قال الشيخ السعدي رحمه الله: يُخبِر اللهُ تعالى أنَّه يُثبِّت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويُثمرها، فيُثبِّتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يُحِبُّه الله على هوى النفس ومراداتها، وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكَينِ للجواب الصحيح، إذا قيل للميت: مَن ربُّك؟ وما دينُك؟ ومَن نبيُّك؟ هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن: الله ربِّي، والإسلام ديني، ومُحمَّد نبيِّي، (وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ) عن الصواب في الدنيا والآخرة، وما ظلمهم الله ولكنَّهم ظلموا أنفسهم، وفي هذه الآية دلالة على فتنة القبر، وعذابه ونعيمه، كما تواترتْ بذلك النصوص عن النبي ﷺ في الفتنة وصفتها، ونعيم القبر وعذابه(٢).

وقال ابن باز رحمه الله: التثبيت في القبر وعند خروج الروح، فالمؤمن إذا حضره الأجلُ بُشِّر بالجنَّة، فتأتيه الملائكةُ تُبشِّره برحمة الله، فيُحِبُّ لقاء الله، ويُحِبُّ اللهُ لقاءه، والكافر بضدِّ ذلك؛ يكره لقاءَ الله، ويكره اللهُ لقاءَه(٣).

ومن الأسباب التي تُعين على حُسْنِ الخاتمة:

١- أن يلزم الإنسان طاعة الله وتقواه، ورأس ذلك وأساسه تحقيق التوحيد، والحذر من ارتكاب المحرَّمات، والمبادرة إلى التوبة، ممَّا تلطَّخ به المرء منها؛ كبيرها وصغيرها.

٢- أن يُلِحَّ المرء على ربِّه بطلب حُسْن الخاتمة، وقد ذُكِر عن رجلٍ من السلف أنَّه كان يُكثِر في سجوده من سؤال الله الميتة الحسنة، فتوفَّاه الله وهو ساجدٌ بين يديه.

---

(١) إبراهيم: ٢٧.

(٢) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٢٥).

(٣) يُنظَر: الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن باز عليه رحمة الله. معنى قوله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} {.. (binbaz.org.sa)

٣- أن يعمل الإنسان جهده وطاقته في إصلاح ظاهره وباطنه، ولْيُولِ إصلاح الباطن الجانب الأكبر، فإنَّ عليه المدار، ومتى ما علم الله منه الصلاح والإخلاص والإقبال عليه؛ فحاشاه سبحانه أن يخذله في آخر لحظات عمره.

٤- تغليب حُسْنِ الظَّنِّ بالله في ساعة السكرة، فإنَّ أحدنا لا يعلم متى تكون نهايته، ومتى تأتيه تلك اللحظة، فينبغي أن نحرص على الاستقامة، وعلى طاعة الله.

والخلاصة: أن يحرص الإنسان كُلَّ الحرص على عمل الصالحات، ومجانبة السَّيِّئات، ويعمل جاهدًا على إرضاء ربِّه بكلِّ سبيلٍ، حتَّى يرضى اللهُ تعالى عنه، ويُكرِمه بحُسنْ الخاتمة، ويلقى ربَّه سعيدًا هانئًا، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [١].

يَا ربِّ إنْ عَظُمتْ ذنوبِيَ كثرةً   فلقد علمتُ بأنَّ عفوَكَ أعظمُ
إنْ كانَ لَا يَرجُوكَ إلَّا مُحسنٌ   فمَنْ ذا الذي يَدعُو ويَرجُو المجرِمُ
أدعوكَ ربِّ كما أمرتَ تضرُّعًا   فإذا رددَّتَ يدي فمنْ ذا يَرحَمُ
مَا لي إليكَ وسيلةٌ إلَّا الرَّجا   وجميلُ عفوِكَ ثُمَّ إنِّي مُسلِمُ [٢]

---

(١) سورة هود: ١٠٨.

(٢) يُنظَر: كشف الخفاء (٢/ ٧٢). كشف الخفاء ومُزيل الإلباس، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.



٢٩ ربيع أول

آية الكُرسيّ

قال اللهُ تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾(١).

قال الشيخ السعدي: هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجَلُّها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة، والصفات الكريمة، فلهذا كثُرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها، وجعلها وِردًا للإنسان في أوقاته؛ صباحًا ومساءً، وعند نومه وأدبار الصلوات المكتوبات، فأخبر تعالى عن نفسه الكريمة بأن ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾أي: لا معبودَ بحقٍّ سواه، فهو الإله الحقُّ الذي تتعيَّن أن تكون جميع أنواع العبادة والطاعة والتألُّه له تعالى؛ لكماله وكمال صفاته وعظيم نعمه، ولكون العبد مُستحِقًّا أن يكون عبدًا لربِّه، مُمتثِلًا أوامره، مُجتنِبًا نواهيه، وكُلُّ ما سوى الله تعالى باطلٌ، فعبادة ما سواه باطلة، لكون ما سوى الله مخلوقًا ناقصًا مُدبَّرًا فقيرًا من جميع الوجوه، فلم يستحقَّ شيئًا من أنواع العبادة، وقوله: ﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ هذان الاسمان الكريمان يدُلَّان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقة وتضمُّنًا ولزومًا، فالحيُّ مَن له الحياة الكاملة المستلزِمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك، والقيوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مستلزمٌ لجميع الأفعال التي اتَّصف بها ربُّ العالمين مِن فعْله ما يشاء؛ مِن الاستواء والنزول، والكلام والقول، والخلق والرزق، والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كُلُّ ذلك داخلٌ في قيوميَّة الباري، ولهذا قال بعض المحقِّقين: إنَّهما الاسم الأعظم الذي إذا دُعي الله به أجاب، وإذا سُئل به أعطى، ومن تمام حياته وقيوميَّته أن ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾والسِّنة النُّعاس ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: هو المالك وما سواه مملوك، وهو الخالق الرازق المدبِّر، وغيره مخلوقٌ مرزوقٌ مُدبَّرٌ، لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقالَ ذرَّةٍ في السماوات ولا في الأرض، فلهذا قال: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ أي: لا أحد يشفع عنده بدون إذنه، فالشفاعة كُلُّها لله تعالى، ولكنَّه تعالى إذا أراد أن يرحم مَن يشاء من عباده أذن لمن أراد أن يُكرمه من عباده أن يشفع فيه، لا يبتدئ الشافع قبل الإذن، ثم قال: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ

(١) البقرة: ٢٥٥.



﴿أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي: ما مضى من جميع الأمور ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ أي: ما يستقبل منها، فعلمه تعالى محيط بتفاصيل الأمور، متقدمها ومتأخرها، بالظواهر والبواطن، بالغيب والشهادة، والعباد ليس لهم من الأمر شيء، ولا من العلم مثقال ذرَّةٍ إلَّا ما علَّمهم تعالى، ولهذا قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ وهذا يدلُّ على كمال عظمته وسعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكُرسيِّ أنَّه يسعُ السماوات والأرض على عظمتهما وعظمة مَن فيهما، والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هنا ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلَّا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكلُّ الأبصار، وتُقلقَل الجبال، وتكعُّ عنها فحول الرجال، فكيف بعظمة خالقها ومُبدِعها، والذي أودع فيها من الحِكم والأسرار ما أودع، والذي قد أمسك السماوات والأرض أن تزولا من غير تعبٍ ولا نصبٍ، فلهذا قال: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ أي: لا يُثقِلُه ﴿حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ بذاته فوق عرشه، العليُّ بقهره لجميع المخلوقات، العليُّ بقدره لكمال صفاته ﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾ الذي تتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغُر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة، فسبحان مَن له العظمة العظيمة، والكبرياء الجسيمة، والقهر والغلبة لكُلِّ شيءٍ، فقد اشتملت هذه الآية على توحيد الألوهيَّة، وتوحيد الربوبيَّة، وتوحيد الأسماء والصفات، وعلى إحاطة مُلكه، وإحاطة علمه، وسعة سلطانه، وجلاله ومجده، وعظمته وكبريائه، وعُلوِّه على جميع مخلوقاته، فهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله وصفاته، مُتضمِّنة لجميع الأسماء الحسنى والصفات العُلا(١).

وقد كان النبي ﷺ يقرؤها كثيرًا في مواضع كثيرة، فكان يقرأها كلَّ صباحٍ ومَساءٍ، ودُبُرَ كُلِّ صلاةٍ وعند النوم، وعندما يريد أن يَرقي نفسه أو يَرقي غيره ﷺ.

وهذه الآية هي آية الكُرسيِّ سُمِّيتْ بذلك؛ لأنَّها الوحيدة في كتاب الله التي ذُكِر فيها الكُرسيُّ، ولها شأنٌ عظيمٌ، وقد صحَّ عن رَسُولِ اللهِ ﷺ بأنَّها أعظمُ آيةٍ في كتاب الله؛ فَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ"رواه مسلم(٢).

---

(١) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ١١٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٦) برقم (٨١٠) كتاب صلاة المسافرين وقِصَرها. باب فضْل سورة الكهف وآية الكُرسيِّ.



وفي راويةٍ أخرى؛ قال النبي ﷺ:" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ إِنَّ لَهَا لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ، تُقَدِّسُ الْمَلِكَ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ" رواه أحمد(١).

وقراءة آية الكُرسيِّ تحفظ بإذن الله من الشياطين، فليس شيءٌ أشدَّ على الشياطين من آية الكُرسيِّ، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ. وفيه: قَالَ:" إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ" اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ"(٢).

ومن قرأ آية الكُرسيِّ بعد الصلوات المكتوبة لم يكن بينه وبين دخول الجنَّة إلَّا الموت، فقد أخرج النسائي وغيره عن أبي أمامة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:" مَن قرأ آية الكُرسيَّ عقب كُلِّ صلاةٍ لم يمنعْه من دخول الجنَّة إلَّا أن يموت"(٣)، قال ابن تيمية رحمه الله: ما تركتُها بعد كُلِّ صلاةٍ إلَّا نسيانًا.

سأتلو آية الكُرسي لأجني طيبَ الغُرسِ
سأتلوها مُكرَّرةً ففيها الحصنُ والكرسي
سأتلوها مع الجَلَوَاتِ بعد الفرضِ بالأُنسِ
سأتلوها مع الخَلَوَات منها مُترعًا كأسي
سأتلوها قُبيلَ النَّومِ في سِرِّي وفي همسي
تُحصِّنُني من الشيطانِ من غَيري ومن نفسي(٤)

---

(١) رواها أحمد في مسنده (٣٥/ ٢٠٠) برقم (٢١٢٧٨). والحديث صحَّحه الألباني كما في مختصر العُلوِّ للعلي العظيم (ص ٩٢).
مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، حقَّقه واختصره: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٠١/٣) برقم (٢٣١١) كتاب الوكالة. باب إذا وكَّلَ رجلًا فترك الوكيل شيئًا فأجازه الموكل فهو جائز.

(٣) رواه النسائي في السنن الكبرى (٩/ ٤٤) برقم (٩٨٤٨) كتاب عمل اليوم والليلة. ثواب مَن قرأ آية الكُرسيِّ دُبُرَ كُلِّ صلاةٍ. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١١٠٣).

(٤) لم أقف عليها.



والخلاصة: أنَّ آية الكُرسيِّ هي أعظم آية في كتاب الله، وقد جمعتْ في كلماتها أنواع التوحيد، وهي حصنٌ لقارئها من الشيطان سائر يومه، ولنا في هدي نبيِّنا ﷺ الأسوة والقدوة، فقد كان يقرأها ويُردِّدها كثيرًا.

٣٠ ربيع أول

فاتحة الكتاب

إنَّ ممَّا خُصَّت به هذه الأُمَّة سورةٌ عظيمةٌ لم تنزل على أحدٍ من الأنبياء من قبلُ، ومن أهمية هذه السورة أن فرض الله علينا قراءتها يوميًّا، إنَّها سورة الفاتحة، سورة الحمد، ولها أسماء عدَّة، وكثرة الأسماء دليلٌ على شرف المسمَّى.

إنَّها أفضل سورة في القرآن؛ روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: أَتُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ: فَقَرَأَ أُمَّ الْقُرْآنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا"(١).

ومن عِظَم فضْلها جُعلتْ رُكنًا من أركان الصلاة، لا تصحُّ الصلاة إلَّا بها؛ روى البخاري ومسلم عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ- رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ"(٢).

وهي السبع المثاني التي قال الله فيها: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾(٣)، وروى البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى- رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ له:" لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُه"(٤).

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ١٥٥) رقم (٢٨٧٥) أبواب فضائل القرآن. باب ما جاء في فضْل فاتحة الكتاب. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٣٧٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٥١/١) برقم (٧٥٦) كتاب الأذان. باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلِّها في الحضر وفي السفر وما يجهر فيها وما يخافت. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٩٥) برقم (٣٩٤) كتاب الصلاة. باب وجوب قراءة الفاتحة في كُلِّ ركعةٍ وأنَّه إذا لم يُحسِن الفاتحة ولا أمكنه تعلُّمها قرأ ما تيسَّر له مِن غيرها.

(٣) الحجر: ٨٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨١/٦) برقم (٤٧٠٣) كتاب تفسير القرآن. باب قوله: ﴿ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم﴾ الحجر: ٨٧.



قال الحافظ ابن حجر: اخْتُلِفَ فِي تَسْمِيَتِهَا" مَثَانِي" فَقِيلَ: لِأَنَّهَا تُثَنَّى كُلَّ رَكْعَةٍ أَيْ تُعَادُ، وَقِيلَ: لِأَنَّهَا يُثْنَى بِهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَقِيلَ: لِأَنَّهَا اسْتُثْنِيَتْ لِهَذِهِ الْأُمَّة، لَمْ تَنْزِل عَلَى مَنْ قَبْلَهَا(١).

إذا ما كنتَ مُلتمِسًا لرزقٍ ... ونجحِ القصْدِ من عبدٍ وحُـرِّ
وتظفر بالذي ترجو سـريعًا ... وتأمن من مُخالَفةٍ وغـدرِ
ففاتحـةُ الكتابِ فـإنَّ فيهـا ... لِما أمَّلْتَ سِرًا أيَّ سِرِّ
فـلازِمْ درسَهَا في كُلِّ وقتٍ ... بصبحٍ ثم ظُهرٍ ثم عصـرِ
كذلكَ بعد مغْربِ كُلِّ ليلٍ ... إلى تسعين تتبعُها بعشـرِ
تنلْ مـا شئتَ من عزٍّ وجَاهٍ ... وعظمِ مهابةٍ وعُلوِّ قدْرِ(٢)

قال العلَّامة السعدي رحمه الله: هذه السورة على إيجازها؛ قد احتوت على ما لم تحتوِ عليه سورة من سور القرآن، فتضمَّنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبيَّة يُؤخَذ من قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وتوحيد الألوهيَّة وهو إفراد الله بالعبادة، يُؤخَذ من لفظ: {اللَّهِ} ومن قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ من غير تعطيلٍ ولا تمثيلٍ ولا تشبيهٍ، وقد دلَّ على ذلك لفظ ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ كما تقدَّم. وتضمَّنت إثبات النُّبوَّة في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ لأنَّ ذلك ممتَنعٌ بدون الرسالة، وإثبات الجزاء على الأعمال في قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، وأنَّ الجزاء يكون بالعدل، لأنَّ الدِّين معناه الجزاء بالعدل، وتضمَّنت إثبات القدْر، وأنَّ العبد فاعلٌ حقيقةً، خلافًا للقدريَّة والجبريَّة، بل تضمَّنت الردَّ على جميع أهل البدع والضلال في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ لأنَّه معرفة الحقِّ والعمل به. وكُلُّ مُبتدِعٍ وضالٍّ فهو مُخالِف لذلك، وتضمَّنت إخلاص الدين لله تعالى، عبادة واستعانة في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فالحمد لله ربِّ العالمين(٣).

وهي شفاء الأبدان؛ كما في حديث البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنَّ ناسًا من أصحاب النبي ﷺ كانوا في سَفَرٍ، فمرُّوا بحيٍّ من أحياء العرب فاستضافوهم فلم يُضيِّفوهم، فقالوا لهم: هل فيكم راقٍ؟ فإنَّ سيِّد الحيِّ لديغٌ، أو مُصابٌ، فقال رجلٌ منهم: نعم، فأتاه فرَقَاه بفاتحة

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٨/ ١٥٨).

(٢) الأبيات تُنسَبُ لأبي حامد الغزالي، ولم أقف عليها في كتبه. ويُنظَر: بوابة الشعراء - أبو حامد الغزالي - إذا ما كنتَ مُلتمِسًا لرزق(poetsgate.com)

(٣) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٠).



الكتاب؛ فبرأ الرجل، فأُعطِيَ قطيعًا من غنم، فأبى أن يقبلها، وقال: حتَّى أذكر ذلك للنبي ﷺ ، فأتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له، فقال: يا رسول الله؛ والله ما رقيتُ إلَّا بفاتحة الكتاب، فتبسَّم، وقال: وما أدراك أنَّها رقية؟ ثم قال: خذوا منهم، واضربوا لي بسهمٍ معكم(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: تأمَّلتُ أنفع الدعاء، فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيتُه في الفاتحة في:" إيَّاك نعبدُ وإيَّاك نستعينُ(٢)".

والفاتحة هي أعظم مناجاة بين العبد وربِّه في صلاته، روى مسلم عن حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله ربِّ العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجَّدني عبدي، وفي رواية: فوَّض إليَّ عبدي، فإذا قال: إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالِّين، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل(٣).

روى مسلم عن عبد الله بن عبَّاسٍ- رضي الله عنهما- قال: بينَما جبريلُ قاعدٌ عند النبيِّ ﷺ سمِع نقيضًا من فوقِه، فرفع رأسه فقال: هذا بابٌ من السماءِ فُتِح اليومَ، لم يُفتَح قطُّ إلَّا اليوم، فنزل منه ملكٌ فقال: هذا مَلكٌ نزل إلى الأرضِ لم ينزِل قطُّ إلَّا اليوم، فسلَّم وقال: أبشِرْ بنورَينِ أوتيتَهما لم يؤتاهما نبيٌّ قبلَك: فاتحةُ الكتاب وخواتيمُ سورة البقرة، لن تَقرَأَ بحرفٍ منهما إلَّا أُعطيتَه(٤).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/٩٢) برقم (٢٢٧٦) كتاب الإجارة. باب ما يُعطَى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٢٧) برقم (٢٢٠١) كتاب السلام. باب جواز أخْذ الأجرة على الرقية.

(٢) المستدرَك على مجموع الفتاوى (١/ ١٧٥). المستدرَك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، جمعه ورتَّبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (المتوفى: ١٤٢١ هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٩٦) برقم (٣٩٥) كتاب الصلاة. باب وجوب قراءة الفاتحة في كُلِّ ركعةٍ وأنَّه إذا لم يُحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلُّمها قرأ ما تيسَّر له مِن غيرها.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٤) برقم (٨٠٦) كتاب صلاة المسافرين وقِصَرها. باب فضْل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحثِّ على قراءة الآيتَينِ من آخر البقرة.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: حريٌّ بطلبة العلم أن يحرصوا في كُلِّ مُناسَبَةٍ إذا اجتمعوا بالعامَّة أن يأتوا بآيةٍ من كتاب الله يُفسِّرونها، لا سيَّما ما يكثُر ترداده على العامَّة مثل الفاتحة، فإنَّك لو سألتَ عاميًّا بل كثيرًا من الناس عن معنى سورة الفاتحة لم يعرفْ شيئًا منها[١].

والخلاصة: سورةٌ من القرآن كريمة، فضائلُها كثيرة وعظيمة، فيها نورٌ مُبينٌ، وكنز ثمين، فيها الجلال والجمال، فيها خبر المهتدي والضال، فيها الإجابة والدعاء، والحساب والجزاء، فيها مراتب السعداء ومنازل الأشقياء، فيها وَعد ووعيد، وعبادة وتوحيد، هي السبع المثاني والنور العظيم، نزل بالبشارة بها ملَكٌ كريمٌ، وهي سورةٌ قصيرةُ الآياتِ، عظيمةُ المعاني، عديدةُ البركات، كثيرةُ الأسماء، جليلةُ العظات.

(١) تفسير العثيمين: جزء عمَّ (ص ٧). تفسير جزء عم، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ)، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م.




تم بحمد الله